زيادات الجامع الكافي

للإمام الحافظ

أبو عبداللَّه محمد بن علي العلوي

المتوفى سنة ٤٤٥ هـ

ترتيب وتعليق

جمال الشَّامي

النسخة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطاهرين.

وبعد:

فإن (الجامع الكافي) من أجلَّ الكتب الزيدية التي عنيت بجمع مذهب الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم، والإمام فقيه آل محمد أحمد بن عيسى، والإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن الإمام الأعظم زيد بن علي، وعلامة العراق محمد بن منصور المرادي رضوان الله عليهم، وقد ذكر المؤلف أن مصدره في كتابه (الجامع الكافي) بأجزاءه الستة مصنفات محمد بن منصور المرادي والبالغة عددها ثلاثون مصنفاً، ويقع (الزيادات) في الجزء السادس منه وقد ذكر المؤلف في مواضع عديدة من الزيادات مصادر نقله وهي كما يلي:

١- كتاب التوحيد والجملة.

٢- كتاب الجملة.

٣- كتاب أحمد بن عيسى – وهو الأمالي -.

٤- كتاب المسائل.

٥- كتاب محمد بن إبراهيم ومحمد بن فرات.

٦- كتاب التوحيد.

٧- كتاب أحمد بن بشار الثوري.

٨- كتاب القضاء.

٩- كتاب المتعة.

١٠- كتاب الطلاق في المحيض وإيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة.

وكتاب الزيادات كغيره من الكتب - باستثناء كتاب الله - قابل للزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل؛ ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[النساء:٨٢]، وهذا شأن الكتب البشرية، بل لم يسلم الأنبياء عامة من وضع الأحاديث عليهم حتى صار المدسوس عليهم غالب على الصحيح عنهم، وقد قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً في الوداع قائلاً: ((**أيها الناس إني امرؤٌ مقبوضٌ، وقد نُعيتْ إليَّ نفسي، ألا وإنه سيُكذب عليَّ كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما خالفه فليس مني ولم أقله**))[1].

(١) قال الإمام الهادي: «يريد صلى الله عليه وآله وسلم: أن ما وافق الكتاب مما روي عنه من الأحكام ومن شرائع الإسلام فإنه منه أخذ، وأنه جاء به عن الله، وما خالف الكتاب فليس من السنة التي جاء بها عن الله؛ لأن جميع الوحي الذي جاء عن الله سبحانه من السنة والقرآن فهما شيئان متشابهان متفقان، لا يتضادان أبداً ولا يفترقان».

فكان العرض على كتاب الله هو معيار القبول والرد في الأخبار المنسوبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم، وعملت الزيدية على هذه القاعدة في الأخبار النبوية والعلوية والمنسوبة إلى الأئمة أيضاً ونصوصهم كما يلي:

عن محمد بن علي الباقر وولده جعفر وغيرهما من القدماء أنهم قالوا: «لا تقبلوا منا ما خالف كتاب الله».

وقال الإمام زيد بن علي: «فسائلونا ولا تقبلوا منا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيئه صلى الله عليه وآله وسلم»، وقال: «فمن جاءك عني بأمر أنكره قلبك، وكان مباينا لما عهدته مني، ولم تفقهه عني، ولم تره في كتاب الله عز وجل جائزا، فأنا منه برئ».

وقال الإمام الهادي يحيى: «ومن ظن أن شيئاً من هذه الجملة ليس بحق فليعرضه على كتاب الله وسنة رسوله عليه وآله السلام وفطرة العقول»، وقال: «فجعل صلى الله عليه وآله الكتاب إماماً لكل ما روي عنه، أو قيل إنه منه؛ يُعرض عليه، فإن جاء مثله، عُلم أنه من قوله، وإن جاء مضاداً لشيء منه، عُلم أنه ليس عنه».

وقال الإمام المرتضى محمد: «فكلما وافق منها الكتاب قبلناه، وما خالفه تركناه»، وقال: «كل ما قلناه وأجبنا به فشاهده في كتاب اللهّ عز وجل، وفي السنة المجمع عليها عن رسول اللهّ صلى اللهّ عليه وعلى آله وسلم، أو حجة من العقل يصدقها الكتاب فكل ما كان من هذه الطرق فهو أصح مطلوب وأنور حجة».

وقد يأتي السؤال التالي: كيف نعرف أن كتاب فلانا من الأئمة وقع فيه الدس؟

الجواب: يعرف ذلك من خلال قواعد مذهب ذلك الإمام فإن كان قواعد مذهبه عدم مخالفة القرآن فإن أي نص ينقل عنه مخالف للقرآن يحكم بأنه مدسوس عليه؛ لأن القرآن ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت:٤٢]، وكذلك إن كان المشهور عن مذهبه التوحيد والعدل فنقل عنه جبر أو تشبيه فيحكم أن ذلك دساً عليه؛ لأن ذلك خلاف الضروري من المذهب، وقد ذكر الإمام زيد بن علي عليه السلام قاعدة عامة في قبول ورد الأخبار المنسوبة إليه – وهو إمام المذهب – حيث قال: «فمن جاءك عني بأمر أنكره قلبك، وكان مباينا لما عهدته مني، ولم تفقهه عني، ولم تره في كتاب الله عز وجل جائزا، فأنا منه برئ، وإن رأيت ذلك في كتاب الله عز وجل جائزا، وللحق مماثلا، وعهدت مثله ونظيره مني، ورأيته أشبه بما عهدته عني، وكان أولى بي في التحقيق، فأقبله فأن الحق من أهله ابتدأ وإلى أهله يرجع».

ويأتي السؤال التالي أيضاً: هل ثبت الدس في زيادات الجامع الكافي؟

الجواب: نعم، من جهة المخالفة للقرآن والمخالفة للمشهور.

أما المخالفة للقرآن: فقد سبق نقل التزام أهل البيت عامة بعدم المخالفة له، ومن تلك المخالفات ما يلي:

ما نقل عن الحسن: «وليس منه شيء إلا وهو مخلوق» وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[العنكبوت:١٧]، ﴿**بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾، ﴿**مَا تَصْنَعُونَ**﴾[العنكبوت:٤٥]، ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[النمل:٩٠]، ﴿**لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾[القصص:٥٥]، ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**﴾[آل عمران:٣٠]، ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ**﴾[الفرقان:٢٣]، ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[النساء:١٢٣] ونحو ذلك.

وما نقل عن الحسن: «والأمر في ذلك مردود إلى الله يفعل ما يشاء، ويرى أولياؤه من عظمة نوره وجلال عظمته ما لم تكن أبصارهم تطيق النظر إليه في الدنيا»، وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام:١٠٣].

وأما المخالفة للمشهور: فقد عُلم من أصول أهل البيت العدل والتوحيد ضرورة حتى قيل في المثل (العدل هاشمي، والجبر أموي)، ومن تلك المخالفات للمشهور من العدل ما يلي:

القول بخلق أفعال العباد كما نقل عن الحسن: «أفعال العباد مخلوقة».

القول بمقارنة القدرة للمقدور مما يلزم تكليف ما لا يطاق كما نقل عن أحمد بن عيسى: «أفعال العباد مخلوقة هي من الله خلق، ومن العباد فعل، لا أن خلق الله تقدم فعل العباد، ولا فعل العبد تقدم خلق الله».

القول بأن المعاصي بقضاء الله وقدره كما نقل عن أحمد بن عيسى: «قلت لأبي عبد الله أحمد بن عيسى هل المعاصي بقضاء الله وقدره؟ قال: نعم».

القول بالجبر كما نقل عن أحمد بن عيسى: «لا يقال شاء العباد فيكون شبه اختيار، ولكن يقال: شاء أن يعصوه».

وغير ذلك مما يخالف بظاهره ما علم من عقائد أهل البيت عليهم السلام في القرون الأولى من التوحيد والعدل وسيأتي التعليق عليها والاشارة إلى ما يصح حملها عليه إن صحت نسبتها إلى قائلها، مع إعادة ترتيب النصوص وتبويبها، أرجو التوفيق في ذلك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

٢ شعبان سنة ١٤٣٩هـ.

١٨ / ٤ / ٢٠١٨م.

التعريف بالمؤلف

نسبه ومولده:

هو محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله، الإمام الحافظ.

ولد في شهر رجب سنة ٣٦٧هـ، بالكوفة وبها نشأ في ظل أسرة علمية علوية، وأخذ عن أعلام عصره، وأخذ عنه الكثير من الأعلام.

مكانته:

يعد العلوي من أكبار العلماء حفظاً وفهماً للحديث وقد جاء التعبير عن مكانته الجليلة على لسان عدد من العلماء من مختلف المذاهب كما يلي:

الحافظ أبو الغنائم محمد بن علي – المتوفى سنة ٥١٠هـ –: «ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله، وكان حافظا، خرج عنه الحافظ الصوري، وأفاد عنه، وكان يفتخر به»[1].

(١) تاريخ الإسلام ج٩ص٦٧٢.

المؤرخ أبو عبدالله الذهبي – المتوفى سنة ٧٤٨هـ -: «الإمام، المحدث، الثقة، العالم، الفقيه، مسند الكوفة»(١).

السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير – المتوفى سنة ٨٤٠هـ -: «من بحور العلم»(٢).

المؤرخ أبو الفلاح الحنبلي – المتوفى سنة ١٠٨٩هـ -: «وفيها أبو عبد الله العلوي، محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن الكوفي، مسند الكوفة»(٣).

تراثه الفكري:

خلف تراثاً جليلاً لا سيما في الفقه والحديث وأصبح بعد ذلك مرجعاً فيهما منه ما يلي:

- **الجامع الكافي**: قال السيد محمد بن إبراهيم: «هو ستة مجلدة، وشملت من الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة والتابعين، ومذهب العترة الطاهرين ما لم يجتمع في غيره، واعتمد فيه على ذكر القاسم بن إبراهيم عالم آل محمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٦٣٦.

(٢) العواصم والقواصم ج٤ ص٢٠٦.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٥ ص١٩٨.

وأحمد بن عيسى فقيههم، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وهو في الشهرة بـ(الكوفة) في العترة كأبي حنيفة في فقهائها، ومذهب محمد بن منصور علامة (العراق) وإمام الشيعة بالاتفاق، وإنما خص صاحب الجامع ذكر مذاهب هؤلاء، قال: لأنه رأي الزيدية بـ(العراق) يقولون على مذاهبهم، وذكر أنه جمعه من نيف وثلاثين مصنفاً من مصنفات محمد بن منصور، وذكر في خطبة المقنع إنما أطلقه فيه، فهو مذهب محمد بن منصور»[1]، وقد طبع مؤخراً دون الزيادات.

- **المقنع النافع في الفقه**: وهو مختصر للجامع الكافي، وقد ذكره الفقيه ابن حُميد في أسانيده، قال المؤلف في مقدمته: «فإنك سألت عن حاجت أصحابنا الزيدية بالكوفة إلى مختصر في الفقه موجز يقرب فهمه ويسهل حفظه، يشتمل على جمل ما تعتمد عليه الزيدية في اختيارها، وتدين به في أعمالها، فأجبتك إلى ذلك مستيعنا بالله، فما كان القول فيه مطلقاً فهو مذهب محمد بن منصور بن زيد المقري...إلخ».

- **تسمية من روى عن الإمام زيد بن علي**: وهو جمع لمرويات ثلاثين راو عن الإمام زيد من التابعين، وهو مطبوع.

- **الأذان بحي على خير العمل**: وهو جمع لرويات الأذان في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وأهل البيت، وهو مطبوع.

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور ج.

- **فضل زيارة الحسين**: وقد طبع وفيه روايات غريبة مدسوسة عليه من قبل الغلاة والمشبهة والمرجئة.

- **فضل الكوفة وفضل أهلها**: قال محمد سعيد الطريحيّ: «كتاب نافع يتضمن أمور هامة من تاريخ الكوفة ولدينا نسخته المخطوطة وعليها سماع الشيخ النرسي المذكور وقد حققناه وهيأناه للطبع»[1].

- **التعازي**: يقول المحقق عنه: «كتاب شيّق يعطي صورة ناصعة للقيم الأخلاقيّة السائدة آنذاك في تبادل الشعور و التعاطف الإنسانيّ، والمواساة عند حلول المصائب بين الناس، وما يجب أن يقال لأهل المصيبة، أو يتمثّل به من قول حسن أو آية بيّنة ، مثل: أعظم اللهّ أجرك، وأحسنَ عزاءك، وغفر لميّتك ، و . . . صُدِّر الكتاب بذكر طريق الرواية عن مؤلّفه، ويتلوه حديث وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله، ثمّ ما صنعه وقاله عند موت أولاده صلى الله عليه و آله ، وما عزّى به غيره» طبع سنة ١٤٣٢هـ.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والمعرفي توفي رحمة الله تعالى عليه ورضوانه في ربيع الأول سنة ٤٤٥هـ.

---

(١) فضل الكوفة ومساجدها.

نص زيادات الجامع الكافي

[باب التوحيد]

[إثبات الصانع الحكيم وما يستحق من أوصاف الكمال]:

قال محمد في كتاب (التوحيد والجملة): الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الدائم بلا أمد، الأول قبل كل أول بلا بداية، والآخر بعد كل آخر بلا غاية، المتعالي عن شبه خلقه، الذي لا يبلغ الواصفون وصفه، ولا يدرك الطالبون من نعته إلا ما أخبر به عن نفسه، الظاهر الباطن الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، إن الله جل ثناؤه، وتعالى ذكره، وتباركت وتقدست أسماؤه، ندب جميع خلقه إلى معرفته وتوحيده والإيمان به، بما بين من حججه، وأوضح من بيناته، وأظهر من دلائله في خلقه وآياته، على أنه المالك المبتدع، الخالق لجميع الأشياء لا من شيء خلقها وهو الصانع القدير، فقال سبحانه: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[فصلت:٥٣] وقال: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأعراف:١٨٥] وقال: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾[الروم:٢٢] وقال: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾[الروم:٢٠] وقال: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا**

﴿وَطَمَعًا﴾[الروم:٢٤] الآية، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ الآية [الروم:٢٥].

وإنما أجابت الرسل- صلوات الله عليهم- عندما سئلت عن الله بالدلالة عليه، فشهدت له بالوحدانية، ووصفته بالقدرة والتدبير، وأوجبت بذلك على من أرسلها الله إليه معرفة الله وتوحيده والإيمان به، أنه إله واحد، خالق ليس كمثله شيء، وإنما أجابت الرسل -عليهم السلام- بغاية الحجة على من سألها بما بين الله لها، وأنزل في كتبه إليها، لم تعدد ذلك إلى غيره، ولن تكون الحجة أبلغ على الدلالة على الله من حجج أنبياء الله التي أبلغتها عن الله خلقه، ولا أهدى لهم إن قبلوها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠] وقال إبراهيم في محاجته قومه ودعائه إياهم إلى الله وتعريفه إياهم رب العالمين: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[الشعراء:٧٨] إلى قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[الشعراء:٨١] فدلهم عليه لا شريك له بالقدرة والتدبير.

وقال موسى عليه السلام عند مسألة فرعون إياه إذ يقول: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى﴾؟[طه:٤٩] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[طه:٥٢] الآية.

وقال فرعون أيضاً: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟[الشعراء:٢٣] قال موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤] و﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء:٢٨] فلم يتعد موسى من الجواب عند مسألة فرعون إياه غير ما أنبأه الله به في الكتاب، وفرعون اللعين أعمى العمين، وأعتى العاتين، وأخبث المتعنتين، أجابه موسى -عليه السلام- عن الله جل وعز بالدلالة من خلق الله عليه، وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله قومه عن الله سبحانه إذ يقولون من يعيدنا؟ فأمره الله بالجواب لهم: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥١].

وقال لا شريك له: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟[يس:٧٨].

وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[يس:٨٠]، فلم يكلف الله نبينا صلى الله عليه وآله من الحجة والجواب غير ما قال له في الكتاب.

وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له قومه: أنسب لنا ربك، فأنزل الله جبريل عليه السلام بسورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١] فليس له شبيه ولا عدد، ولا كمثله شيء، وقد أوضح الله حجته على خلقه فيما جعل فيهم من تركيب الخلق وآثار الصنعة، والتجزئة والتأليف، واختلاف الحواس، وقوام بعضها ببعض، وإدراك بعضها ما لم يدركه بعض، إذ خلقها سبحانه كذلك، وجعلها تقوم بجزئين متباينين نفس وجسد، ثم ألف بينهما بلطف تدبيره، وأحكم تركيبهما بحسن تصويره، فجعلها شخصاً واحداً، مكملاً محتملاً للزيادة والنقصان، عالماً بنفسه، عاجزاً عن اجتلاب محابه ودفع مضاره، فمن كان بهذه الصفة والمنزلة علم علماً يقيناً، واجباً اضطراراً، أنه مبتدع مصنوع، مملوك مملوكة عليه أموره، وأن صانعه غيره، وأن صانعه باين عن جميع صفاته، فيقر له بالصنعة والتصديق، فكذلك الخالق العليم غير محدود، يدرك بالآيات فيوحد.

قال محمد: وسمعت الحسن بن يحيى يذكر عن علي بن أبي طالب -صلى الله عليه- أنه سأله سائل عن الله تبارك وتعالى، فقال: صف لنا ربنا حتى نزداد به معرفة وله حُباً، فقال علي -عليه السلام-: «عليك يا عبد الله بما دل عليه القرآن من صفته وقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتم به

واستعن بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أؤتيت وكن من الشاكرين»[1]، وذكرنا في الكلام في كتاب (الجملة).

قال الحسن: وسألت عن صفات الله سبحانه؟ فإن الله لم يزل سميعاً بصيراً، عزيزاً حكيماً، عالماً قديراً، التام بجميع صفاته التي وصف بها نفسه قبل أن يخلق الخلق وبعد ما خلقهم، لم يزده خلقه لهم في صفته إلا بتلاوة ما عرفهم من عظمة جلاله، ولم تنقص صفته بعد فناء الخلق فتبارك الله أحسن الخالقين، تبارك وتعالى عن أن يدركه الواصفون إلا بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تشبيه ولا تناهي، فجميع الأشياء شاهدة له بالوحدانية، وخاضعة مستكينة لعز جلاله، فتبارك الله الذي ليس له نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل محدود، فسبحانه الذي ليس له أول مبتدأ ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، هو كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته حد الأشياء كلها عند خلقه إياها إبانة له من شبهها، وإبانة لها منه فلم يحلل بها، فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، ولم يخل منها فيقال أين، ولكنه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، ودللها أمره، وأحصاها حفظه، فلم يعزب عنه خفيات غيوب الهوى ولا غامض سائر مكنون ظلم الدجا، ولا ما في السماوات العلى وما في الأرضين السبع السفلى، لكل شيء

(١) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص٢٨٨.

منها حافظ ورقيب، وكل شيء منها بكل شيء محيط، والمحيط بما أحاط به منها الله الواحد الأحد الصمد.

وقال الحسن بن علي -صلى الله عليه- في (التوحيد): «الحمد لله الأول الكون لم يزل، لم يكن له أول معلوم ولا آخر منتهى، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود، ولا أمد يحيى ولا شخص فيتجزى، ولا اختلاف صفة فيتناها التام فلا تصف العقول وأوهامها، ولا الفطن وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها، ولا الألسن وإطنابها، دركاً بجهدها لنعته فيقول لكينونته متى ولا بدئ من ما، ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا بدأ البدا وكان بدئاً بديعاً ما ابتدأ، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد واستزاد، والحمد لله رب العالمين»(١).

(١) حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنامحمد بن يحيى العطار، وأحمد بن إدريس جميعا، قالا: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، عنبعض أصحابنا رفعه، قال: جاء رجل إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقال له: يا ابن رسول الله صف لي ربك حتى كأني أنظر إليه، فأطرق الحسن بن علي عليهما السلام مليا، ثم رفع رأسه، فقال: «الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد بحتى ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى فلا تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، و لا الألباب وأذهانها صفته فتقول: متى؟ ولا بدئ مما، ولا ظاهر على ما، ولاباطن فيما، ولا تارك فهلا خلق الخلق فكان بديئا

[وسائل معرفة الله تعالى]:

وقال محمد في (المسائل): وإن قال قائل بأي شيء عرفت الله؟

فقل: عرفته بما دل على نفسه من القدرة وأثر الصنعة، وحسن التدبير في خلقه، وأنه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ندب جميع خلقه إلى معرفته وتوحيده، والإيمان به بما بين من حججه وأوضح من بيناته، وأظهر من دلائله في خلقه وآياته، على أنه الملك المبتدع الخالق لجميع الأشياء، لا من شيء خلقها وهو الصانع القدير، وذكر مثلما تقدم ذكره في (الجملة).

قال محمد: وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا يدرك إلا بتصديقه**))[1].

[عجائب مخلوقات الله تعالى]:

وبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**ملك من الملائكة رجلاه في الأرض السفلى وعاتقه تحت العرش، بعض زوايا العرش**

بديعاً، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله رب العالمين» التوحيد للصدوق ص٤٥-٤٦.

(١) الزهد لهناد بن السري ج٢ص٤٦٩.

على قرن من قرونه، ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة عام خفقان الطير))[1].

قال محمد: وحدثنا عبد الله بن أبي زياد، قال حدثنا سيار، قال حدثني جعفر بن سليمان، قال سمعت مالك بن دينار يقول: «بلغنا أن في بعض السماوات ملائكة كلما سبح منهم ملك وقع من كل تسبيحة ملك قائم يسبح».

قال: «وفي بعض السماوات ملك له من العيون مثل عدد الحصا والثرى، وعدد نجوم السماء، ما منها عين إلا وتحتها لسان وشفتان يحمد الله بلغة لا يفقهها صاحبها»[2].

قال محمد: فهذه الملائكة في عظم خلقها، وبعد أقطارها، وكثرة أجزائها ليس من بعوضة أو ذرة إلا وفي خلقها معنى خلق هذه الملائكة، إلا أن الله قلل أجزاء البعوضة والذرة وكثر بقدرته ولطيف صنعه أجزاء الملائكة فجزء الذرة أخذ بقسطه من أجزاء الملك الذي عظم الله خلقه في حده، ووزنه وتأليفه، وأثر الصنعة فيه، وذلك دليل على أنهما مصنوعان وصانعهما واحد، آثار الصنعة والخلق فيهما جميعاً قائمة، والقضاء على كل

---

(١) سنن أبي داود ج٤ ص٢٣٢.

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ص٢٦٢.

محدود مجزأ مؤلف في صفة ذرة أو دون ذرة، أو أعظم خلقاً من عظماء الملائكة أنه مبتدع مصنوع، لا يجب حكم الإيمان لعبد حتى يؤمن بذلك، وقد وصف الله نفسه بصفات مدائح وأسمى برهان، لن تزول عن الله سبحانه في حال يدان فيها بإثبات ما أوجب سبحانه ونفي ما أزال، فقال عز وجل: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[الحشر:٢٢] إلى آخر السورة، وقال: ﴿**الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾[الحديد:٣]، وقال: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[الأنعام:١٠٣].

وقال: ﴿**الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾[البقرة:٢٥٥] والقيوم: الدائم الذي لا يزول.

وقال: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم:٦٥] يعني عدلاً وشبيهاً.

وقال: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا** - يعني أشباهاً - **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٢] فهو لا شريك له الأحد الواحد، الصمد المتعال بصفاته عن صفات خلقه، الذي لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الوهام، والمحيط بعزه بالأماكن والأقطار، لا يزول بعظمته من حال إلى حال، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

[تنزيه الله تعالى عن المشابهة]:

وقال الحسن بن يحيى: أجمع علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفي التشبيه عن الله سبحانه، وأنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، تعالى عن الصفات، والأشباه والأنداد، والنظراء.

قال محمد: كان أحمد بن عيسى: ينفي التشبيه والحدود والنهاية ويقول: هو عز وجل موجود بكل مكان بلا كيفية.

قال محمد في (كتاب أحمد بن عيسى عليه السلام)[1]: حدثني علي بن أحمد، عن أبيه: أنه كان ينفي التشبيه، ويقول: هو عز وجل موجود بكل مكان بلا كيفية، وقال: وكل شيء في القرآن، وجاء ربك ويأتي ربك وأشباه هذا، فمعناه جاء أمر ربك ويأتي أمر ربك.

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١١.

[معاني بعض الآيات من المتشابه]:

قال محمد: وسئل أحمد عن العرش؟

فقال: وما ننكر أن يكون الله عز وجل خلق العرش ليتعبد به الخلق كما تعبدهم بنصره، فقال: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾[محمد:٧] وقد كان غنياً عن نصرهم، وإنما أمرهم به ليتعبدهم به فتعبد الخلق بالإيمان بعرشه.

وفي رواية محمد بن فرات: من غير كينونة منه عليه دون غيره، وهو بكل مكان موجود، وعلى كل نفس رقيب، وبكل شيء محيط ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾[المجادلة:٧] ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾[الأنعام:٣].

قال محمد: قلت لأحمد ما معنى قوله: إن الصدقة تقع بيمين الله؟ قال: بقبول الله .

قال محمد في (الجملة): سألت أحمد بن عيسى عن هذا الحديث، [ما] يعني قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفه: ((**إنه إذا كان في هذه العشية هبط الله سبحانه إلى سماء الدنيا**))[1]؟

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية ج٢ص١٤١.

فقال أحمد: إن الله سبحانه أعظم من أن يزول من مكانه، وهبوطه نظره إلى الشيء[1].

وحدثنا علي بن محمد، عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: سألت أحمد بن عيسى عما روي: ((**وكلتا يديه يمين**))؟

فقال: ملك الله وقدرته، وكان ما روي في هذا يعني من التشبيه لها عنده معاني ووجوه ليس أنه يكذب بها.

قال محمد في (كتاب أحمد)[2]: قال القاسم بن إبراهيم في قوله جل وعز: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾[الزمر:٦٩] قال: بنور عدل ربها[3].

قال: وقوله: ﴿**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾[الزمر:٦٧] فإنما يريد الله سبحانه وتعالى قدرته عليهن[4].

---

(١) قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: «إن الله عز وجل أعظم من أن يزول، ولكن هبوطه نظره سبحانه وتعالى إلى الشئ» المسند ص١٩٨.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣١٩.

(٣) في أمالي أحمد بن عيسى: «وفي قوله: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾[الزمر:٦٩] قال: ربها» ج٤ص٣١٩.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣١٩.

قال القاسم فيما وجدته بخط أحمد بن بشار الثوري: وكان ثقة فاضلاً، عن محمد بن منصور، عن القاسم بن إبراهيم أنه قال: كيف يكون بالله موقناً أو عند الله مؤمناً من نسب لله سبحانه بصورة آدم، بما فيه من صورة الشعر واللحم والدم وهم أصحاب هشام وسالم؟

أم كيف يكون مؤمناً من يقول بقول ابن الحكم وهو يقول: إن الله نور من الأنوار، وأنه سبحانه جثة مسدسة المقدار، يعلم بالحركات ويخف في الأماكن، ويتنقل وتبدوا له البدوات وتخلق منه السماوات؛ لأنهم يزعمون أنه على العرش دون ما سواه، وأنه لا يبصر ما حجبته عنه الحجب ولا يراه، ويدنو لما يدنو له من الأشياء بالمشاهدة وينأ عما نآ عنه بالمباعدة، والله سبحانه يقول فيما وصف به نفسه لعباده ﴿**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[المجادلة:٦]، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[الحج:١٧]، ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[ق:١٦] وقال سبحانه: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾[الأنعام:٣].

مع ما بين سبحانه في غير هذا من بعده عن شبه الأشياء من النور وغيره من قوله: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام:١٠٣] وقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:١١] وقوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:٤] فهو المثل والند فلو كان سبحانه كما قال هشام وأصحابه نوراً وجسماً، أو كما

قال ابن سالم لحماً أو دماً لكانت أكفاؤه كثيرة؛ لأن الأنوار في نوريتها متكافئة، والأجسام في جسميتها متساوية، وكذلك تكافئ اللحم والدم يكافئ الجسمية، ولو كان كما قال أصحاب النور نوراً محسوساً لكانت له الظلمة ضداً ملموساً، ولو كان ذلك كذلك لوقع بينهما ما يقع بين الأضداد من التغالب والفساد، فسبحان من ليس له ند يكافئه ولا ضد يناوئه[1].

---

(١) قال الإمام القاسم الرسي: «فكيف يكون بالله موقنا أو معتصما، أو عند الله مؤمنا أو مسلماً، من يشبه الله بصورة آدم، وبما فيه من صور الشعر واللحم والدم؟ وأولئك فأصحاب هشام بن سالم .

أو كيف يكون كذلك من قال بقول ابن الحكم، وهو يقول: إن الله نور من الأنوار، وإنه سبحانه حبة مسدسة المقدار، وإنه يُعلم بالحركات ويُعقل، وتحف به الأماكن وينتقل، وتبدو له البدوات، وتخلو منه السماوات. لأنهم يزعمون أنه على العرش دون ما سواه، وأنه لا يبصر ما حجبت عنه الحجب ولا يراه، ويدنو لما يدنو له من الأشياء المشاهدة، وينأى عما نأى عنه بالمباعدة، فما نأى عنه فليس له شهيد، وما قرب منها إليه فهو منه غير بعيد.

والله سبحانه يقول فيما وصف نفسه لعباده، وما تَعرَّف إليهم به من الصفات في كتابه: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[المجادلة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[الحج: ١٧]، وقال سبحانه : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[ق: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي**

وسئل محمد عن قوله: ((**خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**))، و((**نظر إلى الجنة وتبسم**))[1]، و((**ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء**))، وقوله: ((**إذا كان يوم القيامة أتى بعرشه إلى بيت المقدس فيجلس عليه، ويحكم بين خلقه ليس بينه وبينهم ترجمان**))[2]؟

السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: ٣]. أفما في هذا بيان قاتلهم الله أنى يؤفكون!!

مع ما بَيَّن في غير هذا من بُعده عن شَبَهِ الأشياء، من النور وغيره من كل ظُلمة وضياء، من ذلك قوله سبحانه: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى: ١١]، وقوله جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله،: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص: ٤]، والكفؤ: فهو المثل والند. فلو كان كما قال هشام وأصحابه نورا وجسما، أو كان كما قال ابن الحكم لحما أو دما، لكانت أكفآؤه عددا، وأمثاله سبحانه أشتاتابددا، لأن الأنوار في نورها متكافية، والأجسام في جسميتها متساوية، وكذلك تكافؤ اللحم والدم، كتكافؤ الجسمية كلها في الجسم، ولو كان كما قال أصحاب النور نورا محسوسا، لكانت الظلمة له ضدا ملموسا، ولو كان بينهما كذلك لوقع بينهما ما يقع بين الأضداد، من التغالب والتنافي والفساد، فسبحان من ليس له ند يكافيه، ولا ضد من الأضداد ينافيه، ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[الزمر: ٦٢]» الرد على الرافضة في الوصي والحجة.

(١) رواية موضوعة.

(٢) رواية موضوعة إسرائيلية وحشوية.

فقال: أما قوله: ((**خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده**)) فإنما معناه خلق ذلك بقدرته كيف شاء وكما يشاء، وقوله: ((**نظر إلى الجنة وتبسم**)) جلَّ الله وعلى وتقدس عن شبه خلقه، وعن صفات المخلوقين.

وقوله: ((**ينزل الله سبحانه في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا**))، فبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في هذا الحديث: ((**الله أعظم من أن يزول، ولكن ينزل أمره**))[1].

وأما قوله: ((**أنه يؤتى بعرشه إلى بيت المقدس، ويحكم بين خلقه**)) فالجواب في المسألة التي قبلها كاف عن غيرها.

قال: وقوله: ((**خلق الله آدم بيده**))؟ يعني خلقه بقدرته لا يكيف ذلك، وقوله: ((**السماوات مطويات بيمينه**))؟ مطويات بقدرته لا شريك له، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إذا التفت العبد في صلاته أعرض الله عنه**))[2]؟، قال: أعرض الله عنه برحمته ومغفرته، وقوله في الميت: ((**فإنكم إذا وجهتموه للقبلة أقبل الله عليه بوجهه**))[3]؟ معناه أقبل الله عليه برحمته.

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٢ص٣٥٢، ترتيب الأمالي الخميسية ج٢ص١٤٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج١ص٣٩٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج١ص٣٩٥.

[تنزيه الله تعالى عن الرؤية]:

قال أحمد، والقاسم[1]، والحسن، ومحمد: ليس نرى الله في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال أحمد[2]، ومحمد في قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٢] قالا: ناعمة، ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٣] تنتظر الثواب من ربها.

وقال الحسن: ناظرة تنتظر ثواب ربها.

---

(١) قال الإمام القاسم: «كذلك جل ثناؤه لا تدركه الأبصار، ومن أدركته الأبصار فقد أحاطت به الأقطار، ومن أحاطت به الأقطار، كان محتاجاً إلى الأماكن، وكانت محيطة به، والمحيط أكبر من المحاط به وأقهر بالإحاطة، فكل من قال إنه ينظر إليه جل ثناؤه على غير ماوصفنا من انتظار ثوابه وكرامته، فقد زعم أنه يدرك الخالق، ومحال أن يدرك المخلوقُ الخالقَ جل ثناؤه بشيء من الحواس، لأنه خارج من معنى كل محسوس وحاس، فكذلك نفى الموحدون عن الله جل ثناؤه دركَ الأبصار، وإحاطةَ الأقطار، وحُجُبَ الأستار، فتعالى الله عن صفة المخلوقين، علواً كبيراً لا إله إلا هو رب العالمين» كتاب العدل والتوحيد.

(٢) قال محمد: «سألت أبا عبد الله عن قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٣] فقال: ناضرة: ناعمة، إلى ربها ناظرة: تنتظر الثواب» أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣٠٩.

وقال الحسن: إن الله سبحانه مدح نفسه في كتابه بمدحه وهو حقيق لا تنقطع مدحته في الدنيا ولا في الآخرة، فقال: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام:١٠٣] وقال موسى: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾[الأعراف:١٤٣] وما قال الله فهو كما قال.

وقد روي في الحديث: ((أن أهل الجنة تبلغ بهم الكرامة إلى أن ينظروا إلى خالقهم كما ينظر بعضهم بعضاً))[١] والله سبحانه أجل وأعظم من أن تدركه الأبصار، أو تحيط به العقول، أو تقع عليه الأوهام، [والأمر في ذلك مردود إلى الله يفعل ما يشاء، ويرى أولياؤه من عظمة نوره وجلال عظمته ما لم تكن أبصارهم تطيق النظر إليه في الدنيا][٢].

وقد روي عن زيد بن علي - عليهما السلام- أنه قال: «إن بين الله سبحانه يوم القيامة وبين أدنى خلقه من ملك مقرب، أو نبي مرسل سبعين ألف حجاب من نور، لن يستطيع أدناهم أن يرفع رأسه إلى أدناها حجاباً من عظمة الله تبارك وتعالى»[٣]، وقد قال سبحانه: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾[الشورى:١٠].

---

(١) رواية موضوعة.

(٢) هذه زيادة مناقضة لما قبلها ولا شك في أنها مدسوسة.

(٣) الرواية موضوعة ومنسوبة زوراً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المعجم الكبير للطبراني ج٦ص١٤٨.

والصواب: إذا تأول الناس شيئاً واختلفوا فيه أن يردوا حكمه إلى الله، ولا يتأولوا برأيهم على أهوائهم[1].

وسئل هل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه[2] حين عرج إلى السماء؟

قال: رأى ربه بقلبه[3] كما يرى الإنسان بقلبه في المنام.

وقال محمد: إن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار، ولا تلحقه الأوهام.

---

(١) سبق نفي البينية والتي هي من صفات الأجسام وهذا يؤكد بطلان نسبتها إلى الإمام زيد أو إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) عن مسروق، قال: «قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث، من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام: ١٠٣]...» صحيح البخاري ج٦ص١٤٠.

(٣) ينسب هذا القول إلى ابن عباس شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج٣ص٥٧٢.

قال بعض أهل العلم: إن الله يرى في الآخرة وليس كرؤية المخلوقين للشيء الذي تحويه أبصارهم، ولكن لله خفايا ولطائف يلطف فيها لمن يشاء كما شاء، وسمعنا في قول موسى -عليه السلام- تبت إليك وأنا أول المؤمنين، فإني تبت إليك من مسألتي الرؤية، وأنا أول المؤمنين بأنك لا يراك أحد من خلقك، وروى محمد بإسناده عن مجاهد وأبي العالية والسدي نحو ذلك.

وروي عن علي -صلى الله عليه- في قوله: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:٢٦] قال: الزيادة: غرفة من لؤلؤ لها أربعة أبواب(١).

وعن مجاهد: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:٢٦] قال: مثلها، والزيادة: المغفرة والرضوان، وخلود في الجنة في نعيم أبداً(٢).

وعن علقمة قال: الزيادة قوله: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾[الأنعام:١٦٠](٣).

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج٩ص١٩٤٥، وهو قول للإمام زيد بن علي عليه السلام في تفسير غريب القرآن.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج٩ص١٩٤٥.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ج٦ص١٩٤٦.

وعن عائشة قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية[1].

[خطر التشبيه]:

وحدثنا سفيان، عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد: أخبرني عن الله لؤلؤ هو أم زبرجد؟ فأنزل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته، ثم أنزل الله سبحانه: ﴿**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾[الرعد:١٣][2].

[من رموز التشبيه]:

قال أحمد: وأخبرني حاضر بن إبراهيم أن سليمان بن جرير[3]، وهشام بن الحكم[4] اجتمعا في بيت حاضر، فثبت هشام التشبيه والحدود لله جل وعز، ونفى سليمان حتى قال له سليمان: ذكر هو أو أنثى؟

قال: ذكر، فسأله عن صفات الذكر، فجبن هشام فسكت ولم يجب.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج١٠ص٢٧٤.

(٢) تفسير الطبري ج١٦ص٣٩١.

(٣) سليمان بن جرير الرّقي، متكلم زيدي، تتنسب إليه جماعة من الزيدية سُميت السليمانية.

(٤) هشام بن الحكم الكوفي، متكلم إمامي، اشتهر بمقالات التشبيه والتجسيم، له مصنفات منها: الإمامة، والرد على الزنادقة. الفهرست ص٢١٧.

[باب العدل]

[أفعال العباد]:

وقال محمد: وقد نسب الله الأعمال إلى العباد فقال: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ وقد أقدرهم عليها بالآلة والأداة، وتسليم الجوارح.

وقال الحسن، ومحمد: وللعباد أفعال وإرادات نسبها إليهم، وعلم الله وإرادته ومشيئته(١) محيطة بإرادتهم ومشيئتهم، فلا يكون منهم إلا ما أراد وعلم أنه كائن منهم(٢)، وقد أراد خلقهم وخلقهم بعد علمه بما هو كائن منهم، وأنه لا يكون منهم إلا الذي كان، وقد سبق في علمه أنه يكون منهم مؤمن وكافر، ومطيع وعاص، وشقي وسعيد، وفريق في الجنة وفريق

---

(١) الإرادة والمشيئة هنا بمعنى العلم.

(٢) وعليه نزل قوله تعالى: ﴿**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾[النساء:٨٨] لأنه لما سبق في علمه أن العبد لا يؤمن إما لكون قابليته لا تقبل هداية الفطرة، أو أنه يتولى الشيطان بعد ذلك حكم عليه بذلك لا بنفس العلم أو غير ذلك بل بنفس العمل ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ...**﴾[التوبة:٧٦] ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ**﴾[التوبة:٧٧] ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾[البقرة:٢٦] ﴿**وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا**﴾[النساء:٨٨] وغير ذلك.

في السعير، وقد أراد أن يتم كون ما علم أنه كائن، وقد أراد تبارك وتعالى أن تكون الدنيا دار بلوى واختبار.

قال محمد: ومن ألزمه الله الحجة بالعقل والفهم والبصر، والقوة والسلامة من الآفات المانعة لقبول ما جاءت به الرسل، فذلك المحجوج لا عذر له في إضاعة شيء مما كلفه الله عز وجل ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ** إلى قوله **مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[الأحزاب:٧] وقال: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** إلى قوله **إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[الأعراف:١٧٢] معناه: لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وقال: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[القصص:٦٨].

[قال محمد]: وسألت عمن يقول: إن الله عز وجل قد خلق الأشياء وفرغ من جميع خلقه وأحكمه؟

إن كان يريد بقوله إن الله عز وجل قد خلقها يريد أن الله علمها فهو كما قال، وأما قوله (خلق) فإن الله قد خلق ما أراد خلقه، وهو خالق ما يريد خلقه.

وسألت عمن يقول: إن الله شاء لخلقه أن يكونوا عالمين عاملين بأمر الله ولكن تركوا ذلك؟

نقول لو شاء الله أن يجعلهم مجبولين على ذلك لفعل ولن يخرجوا من ذلك، ولكن شاء جل وعز أن يأمرهم بعد البيان واتخاذ الحجة أن يكونوا عالمين عاملين بأمر الله، والمن والتوفيق من الله لمن قبل أمره، قال الله جل وعز: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[البينة:٥] وقال لا شريك له: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾[النساء:١٣٥] فقد شاء أن يكونوا قوامين بالقسط، وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾[السجدة:١٣] وقال سبحانه: ﴿**لَوْ يَشَاءُ اللهُّ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[الرعد:٣١] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**﴾[يونس:٩٩] ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُّ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى**﴾[الأنعام:٣٥] وهو كما قال الله عز وجل، ولكن الله شاء أن يأمرهم وينهاهم بعد البيان ليتخذ عليهم الحجة، وقال: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[الإسراء:١٥] فشاء الله أن يكرم أهل طاعته ويهين أهل معصيته.

وسئل عن قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[فاطر:٢]؟

فقال: ذلك المطر يغاث به العباد فهو من رحمة الله لا مرسل له غيره، وإن يمسك فلا مرسل له غيره، وكذلك كل ما أنعم الله به على خلقه فعلى هذا السبيل.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[يونس:١٠٧]؟

فقال: هو على حسب ما أجبت به في المسألة التي قبلها.

وسئل عن قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[الأعراف:١٧٩]؟ يعني يقول خلقنا لها كثيراً من الجن والإنس وهم أهل الكفر والضلال(١).

(١) قال الإمام الناصر أحمد بن الهادي ع: «يعني عز وجل أنهم اختاروا ذلك كله، ولم يستعملوا الجوارح التي خلقها لهم في طاعته ولم يصغوا بها إلى كتبه ورسله، فاستحقوا بذلك أنه صيرهم في حكمه وعدله ذرءاً لجهنم لا أنهم صيرهم ذرءاً لجهنم جبراً ولا قسراً ولا حتماً ولا على غير جرم ولا ذنب ولا على غير استحقاق لزمهم به الخلود في النار عز عن ذلك، وإنما أخبر عز وجل بصيورة أمرهم إلى ما يؤول، وذلك جائز في لغة

وسألت عن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[الإنسان:٣٠]؟ بلغنا أنه لما نزلت: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[الإنسان:٢٩] قال أبو جهل: قد جعل الله المشيئة إلينا(١)، فنزلت: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[الإنسان:٣٠].

العرب أن يخبر الرجل بما يعلم أن إليه يصير الأمر الذي قد عرفه وأيقن به أنه سوف يكون كذلك، قال الشاعر في نحو ذلك:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وليس جمعه للأموال ولا بناؤه للدور على عمدٍ منه وقصدٍ أن يجعله للورثة وربما كان الورثة أبغض الخلق إليه، وإنما أخبر بما علم أن المصير إليه من جمع المال وعمارة الديار إذ لا يبقى على الأرض مطيع ولا عاصٍ فأخبر عن علمه بما تصير إليه الأمور، وكذلك أخبر الله عز وجل عن هؤلاء أنهم سيصيرون ذرء لجهنم بما قدموا واستحقوا، قال آخر:

وللموت تغذو الوالداتُ سِخَالَهَا كما لخراب الدهر تُبْنَى المساكِنُ

والوالدات ليس يغذين سخالهن للموت لا محالة، ولا للخراب تبنى المساكن قصداً لذلك من الغاذين للأولاد ولا من العامرين للديار، وإنما أخبر بعلمه إلى ما يصير إليه ذلك كله فجاز هذا في اللغة العربية» النجاة ص٢٥٢.

(١) أي في الوسيلة الموصلة إلى الله تعالى من الطاعات والقربات فأخبر تعالى أنه لا يقبل إلا ما يشاء.

وسئل عن قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١٢]؟

فقال: هو كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾[١] في الدنيا من نكال أو قتل أو عقوبات فلا راد لأمر الله، وكذلك في الآخرة إذا أراد الله بأعدائه العذاب والعقاب فلا راد لأمر الله عز وجل.

وسألت عن قوله عز وجل: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[آل عمران:٢٦]؟ شاء الله أن يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته.

وسألت عن قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[آل عمران:٢٦]؟ هذا كما قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾[البقرة:٢٥٨] هذا على الإقدار والتمكين.

قال محمد في (كتاب أحمد)[٢] وفي (المسائل) بعضه: سألت أحمد بن عيسى عن أفعال العباد أمخلوقة أم غير مخلوقة؟

---

(١) وذلك بعد استحقاقهم له.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٣.

فقال: أفعال العباد مخلوقة هي من الله خلق، ومن العباد فعل، لا أن خلق الله تقدم فعل العباد، ولا فعل العبد تقدم خلق الله[1]، [قد سئل علي -عليه السلام- عن ذلك فقال: هي من الله خلق ومن العباد فعل، لا تسأل عنها أحداً بعدي][2].

قال أحمد: إنما يعذب الله العباد على فعلهم لا على خلقه.

قال محمد: وحدثني علي بن أحمد عن أبيه قال: [سأل رجل أمير المؤمنين -صلى الله عليه - عن أعمال العباد أشيء منهم أم من الله؟

فقال: خلقها الله وعملها العباد، لا تسأل عنها أحداً بعدي][3].

قال أحمد: ومعنى قوله خلقها الله وعملها العباد، أن العباد هم العاملون لها والله خالقها عند فعلهم[1]، فالفعل منهم والخلق من الله معاً،

---

(١) وهذا القول لا يمكن أن يصح عن الإمام أحمد؛ لأنه يلزم منه أن القدرة مقارنة للمقدور وذلك يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق، وهو قبيح، ولا يجوز على الله فعل القبيح.

(٢) هذه الحكاية عن أمير المؤمنين عليه السلام معلومة البطلان بالضرورة؛ لأن المسألة لم تثار إلا في القرن الثاني الهجري بعد إحداث القول بنفي خلق القرآن، ولأن العدل هو المعلوم والمنسوب إليه وعلى ذلك جمهور أهل البيت.

(٣) ولا قيمة للسند؛ لأن هناك من تخصص بوضع الأسانيد ونسب إليها نصوصاً معارضة للعقل والقرآن والمتواتر من السنة.

لا أن خلق الله تقدم فعل العباد ولا تأخر عن وقت فعلهم[٢]، والثواب والعقاب على فعلهم لا خلقه أعمالهم.

والحجة تلزمهم بما ركب من جوارحهم وسلامتها من الآفات المانعة لهم من الفهم بها والحركات، فمن علم منه الهداية جاءته من الله المعونة والتوفيق الزائد، ومن علم منه الضلالة خذله فلم يكن منه هداية وذلك من الله على أوليائه وأهل طاعته بسابق علمه فيهم، وقد ألزمهم حجته فقطع عذرهم فيما كلفهم من طاعته فهم عاملون ما علم لا محالة؛ لأنه لا يحول بينهم وبين طاعته إلا بالخذلان لهم لسابق علمه فيهم وقد قطع عذرهم بأن جعل فيهم بما مثله يفهم، فمن لم يفهم فهو مقطوع العذر، وذلك أنه تعالى ذكره إذا أمرهم بأمر فقد جعل فيهم بما مثله يفهمون ذلك الأمر من العقل الذي يكتسب ما يثاب عليه ويعاقب؛ لأن معونة الله إياهم على فعلهم هي غير فعلهم فعلى فعلهم أثابهم لا على معونته لهم على الفعل، وإنما أعان من علم أنه فاعل الطاعة، وخذل من علم أنه فاعل المعصية[٣].

---

(١) هنا الخلق مع الفعل لا مقارن له وهو أيضاً يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق.

(٢) وهنا المقارنة له وهو مناقض لما سبق، وفي التناقض دلالة على الدس.

(٣) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٣.

قال محمد في المسائل: وسئل عن أفعال العباد بلغنا عن علي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: [هي من الله خلق ومن العباد فعل][1].

وقال الحسن: [أفعال العباد مخلوقة][2]، أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن الله الخالق لجميع الأشياء لا خالق غيره، الأفعال[3] وغير ذلك، والحجة في ذلك كتاب الله عز وجل، قال الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا**﴾[مريم:٩١] وقال: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾[القمر:٥٣] وقال: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[الصافات:٩٦] فالمنطق والشهوة والحركة من الإنسان مخلوقة[4]، وقال الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[التين:٤] وكل الخلق يقرون بأن الإنسان مخلوق [وليس

---

(١) سبق الحديث عن هذه الرواية.

(٢) لا يخفى زيادة هذه الجملة على النص بحيث يوهم أنها لاحقة بالإجماع.

(٣) ظاهر النص والأدلة يؤكدان أنه تعرض للتلاعب؛ فبعض الآيات تدل على علم الله ونفي دعوى الولد له، والبعض الآخر خلق الإنسان ولا علاقة لواحدة منها على الأفعال التي يراد بناء الدلالة عليها.

(٤) قال نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم: «فالله خلقكم وحجارة الأصنام التي كانوا يعبدون» مسائل القاسم.

منه شيء إلا وهو مخلوق][1]، فإن زعموا أن أفعال العباد ليست منهم فقد زعموا أن الله عذب العباد على ما ليس منهم، وأثابهم على ما ليس منهم[2]، وإن زعموا أن أفعال العباد منهم فقد ألزمهم الحجة أن أفعال العباد مخلوقة[3]، وإن زعموا أنها ليست منهم مخلوقة؛ فقد جحدوا أن الله خلق العباد[4].

وسألت: عن القدر وعن الخير والشر؟ فالذي نقول إن الله سبحانه خلق الخير والشر[5] وقدر الأشياء تقديراً فقال: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ**

---

(١) هذه زيادة مدسوسة لا تخفى؛ قال تعالى: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[العنكبوت:١٧].

(٢) وهذا رد على من يدعي أن أفعالهم مخلوقة لله.

(٣) وهذا نقض لما سبقه وإثبات أن أفعالهم ليست منهم وإنما خلقاً لله.

(٤) وما علاقة نفي خلق العباد بخلق أفعالهم!

(٥) قال الإمام المنصور عبدالله بن حمزة: «وإنما خلق الشر الذي هو من قبله كالجدب، والمرض، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات» الأجوبة الشافية عن المسائل المتنافية.

قال الإمام القاسم بن إبراهيم: «ومن سألك فقال: مَن خلق الشر ؟!

فقل له: إن الشر على أمرين: شر هو أَلَمٌ وأذًى وعذاب، وشر هو ظلم وجور وكذب وعيب.. فعن أي الشرين تسأل ؟

فإن قال: عن الظلم والجور.

فقل: إن الظلم من أفعال الظالمين، والجور من الجائرين، والكذب من الكاذبين.

فإن قال لك فالجور مَنْ خلقه ؟

﴿بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩] فقد وصف الله أن فعلهم شيء والله خالق كل شيء، والخير والشر شيء وهما مخلوقان، وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء:٣٥].

[قال محمد]: وسألت عمن يقول لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يؤمن بالخير والشر؟

فمعناه «حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(١).

فقل له: لم نقل إنه مخلوق، فتسألنا عن خالقه. فإن قال لك: فَلِم يخلقُ الله الكذب، والجور ؟!

فقل له: إن معنى خلقه: فعله، والله لم يفعل الجور والكذب والظلم، لأن الجور والكذب لا يفعله إلا كاذب جائر ظالم» اسئلة إلى المجبرة.

(١) ينسب هذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سنن الترمذي ج٤ص٤٥١، السنة لابن أبي عاصم ج١ص١١٠، جامع معمر بن راشد ج١١ص١١٨، ومعنى ذلك: أن الله تعالى إذا كان يفعل الأفعال لمصالح عباده فلا بد أن يقع ما علم فيه الصلاح، وما لم يقع وجب أن يعلم أنه لو كان فيه صلاح لدينه لفعله سبحانه. ينظر الشافي للمنصور.

[الاستطاعة]:

قال محمد في (كتاب أحمد) [1]: وسألت أحمد بن عسي عن تقدمة الاستطاعة والفعل، فقال: الفعل بعد الاستطاعة[2] وليس حيث تذهب المعتزلة بأن الاستطاعة هي الآلة التي خلقها الله الفؤاد والسمع، والبصر واليدان، والأداة التي خلقها الله عز وجل في الشخص منذ هو صغير، فإذا بلغ الحنث كلف العمل[3]، والعون والتوفيق من الله عز وجل سبحانه يوفق ويخذل، ويعين ويدع، يفعل الله ما يشاء[4].

قال: والحجة من الله تلزم العباد بما ركب من جوارحهم وسلامتها من الآفات المانعة لهم من الفهم بها والحركات[5]، فمن علم منه الهداية جاءته من الله المعونة والتوفيق الزائد، ومن علم منه الضلالة خذله فلم يكن له منه هداية، وذلك منّ من الله على أوليائه وأهل طاعته بسابق علمه فيهم، وتكلم أحمد بن عيسى في هذا بكلام وشرح لم أحفظه[6].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٢.

(٢) وهذا قول المعتزلة.

(٣) بعد هذا النص مكتوب في الأمالي: «تكلم أبو عبدالله في هذا الكلام وشرح شرحاً لم أحفظه».

(٤) سيأتي في النص التالي أنها هي الحجة اللازمة للتكليف.

(٥) وهذا معنى الاستطاعة التي هي قبل الفعل وعليها التكليف.

(٦) لعل التداخل والتناقض فيه أحد أسباب ضعف الحفظ إذا سلم من التلاعب.

قال محمد: سألت أحمد بن عيسى عن تقدمة الاستطاعة والفعل؟ فقال: الفعل بعد الاستطاعة وليس حيث تذهب المعتزلة أن الاستطاعة هي الآلة التي خلقها الله الفؤاد والسمع والبصر واليدان، والأداة التي جعلها الله منذ هو صغير فإذا بلغ الحنث كلف العمل، وقد تقدم كلام أحمد في ذلك(١).

وقال محمد في (كتاب أحمد)(٢): وذكر أحمد بن عيسى الاستطاعة وهي عنده على وجوه:

من ذلك قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾[المائدة:١١٢] وقد علموا أنه يستطيع، وإنما أرادوا هل يفعل ذلك ربك، ومن قرأ هل تستطيع ربك فقال هل تستطيع أن تسأل ربك.

وذكر أحمد وجهاً آخر لم أحفظه، وقوله تعالى: ﴿**وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾[الكهف:١٠١](٣).

---

(١) سبق الحديث عنه.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣٠٢.

(٣) قال الإمام الناصر أحمد بن الهادي: «يعني تبارك وتعالى بذلك أنهم كانوا لا يبصرون الحق ولا يميلون إليه بقلوبهم ولا يريدونه بشيء من حواسهم ولا يصغون إليه بآذانهم، ولا يريدون أن يسمعوه باختيارهم وإعراضهم وكراهيتهم للحق واستماعه وهم في ذلك يقدرون أن يسمعوا وينصتوا إليه لو أرادوا لأن الله جل ثناؤه لم

قال سعدان: قال محمد: هذا على الكراهية كما يقول القائل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان على كراهيته لذلك.

قال محمد: قلت لأبي عبد الله كيف تقرأ: ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ**﴾ بالياء أو ﴿**هَلْ تَسْتَطِيعُ**﴾ بالتاء؟ فقال: لست أعدل عن قراة علي -صلى الله عليه- هل تستطيع بالتاء(١).

قال محمد: وسمعت أحمد يقول في قوله: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾[الأعراف:١٧٩] قال: هذا على العيب لهم، وهو مثل قوله: ﴿**وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا**﴾[الكهف:١٠١] إنما هذا على الكراهية والفزع إذا سمعوا الحق، وذكر الله جل وعز فزعوا من ذلك.

يحل بينهم وبين الاستماع، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[الأعراف:١٩٨]، وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ**﴾[مريم:٣٨]، يعني ما أسمعهم وما أبصرهم مثلما تقول العرب: أكرِمْ بفلان، أي ما أكرمه» النجاة ص٤٠٩.

(١) عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: سألت معاذ بن جبل رضي الله عنه عن قول الحواريين، ﴿**هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ**﴾[المائدة: ١١٢] أو هل تستطيع ربك؟ فقال: «أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم» هل تستطيع «بالتاء» المستدرك على الصحيحين ج٢ص٢٦٠.

قال الحسن: وسألت عن معنى القوة والاستطاعة التي جعلها الله تعالى فينا هل جعلت المشيئة إلينا أن نعمل بالطاعة والمعصية؟

فإن الله خلق العباد فسواهم وأحسن خلقهم، وجعلهم فاعلين للأشياء مريدين الأفعال، فليس يخلو العبد من أن يكون فاعلاً شيئاً، أو مريداً لشيء وجعل فيهم القدرة لما كلفهم من العمل ومنّ عليهم بالسلامة، وجعل مشيئته محيطة بمشيئتهم فقال: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[الإنسان:٣١] وجعل للعباد العقول والأبصار، والأسماع والألسن، والشفاه والأيدي، والأرجل، ثم احتج عليهم بما خولهم من نعمه فقال: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾[الأعراف:١٩٥] وقال في موضع آخر: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[البلد:١٠] وروي أنه لمعرفة الخير والشر، وقال: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[الشمس:٩] قال: معرفة الفجور والتقوى.

وقال الحسن بن يحيى -عليه السلام-: وسألت عن الاستطاعة قبل الفعل أو بعد الفعل؟

فإن الله سبحانه خلق العباد فاعلين للأشياء مريدين للأفعال، فلن يخلو العبد من أن يكون فاعلاً لشيء أو مريداً لشيء، والاستطاعة هي القوة والسلامة[1]، فما دام الإنسان سليم العقل والجوارح فيه القوة فهو مستطيع لما كلفه الله وطوقه فليس يفقد الإنسان القوة حتى يفقد العقل والسلامة والقوة، فالسلامة في الجسم بمنزلة الروح في البدن، فهي مع الفعل الكائن وقبل الفعل الذي لم يكن، قال الله عز وجل: ﴿**فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[البقرة:٦٤] وقال: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَّ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[النور:٢١] وقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِّ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[يونس:١٠٠] وقال: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[السجدة:١٣] وقال: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللهُّ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُّ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأنعام:١٢٥].

---

(١) وهذا هو رأي العدلية عامة.

[المشيئة]:

قال الحسن: ومن زعم أن الله سبحانه جعل المشيئة[1] إليه فإن القرآن يكذبه، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[السجدة:١٣] ولا نبطل قول الله تعالى، وقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[يونس:١٠٠] وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[الكهف:٢٤]، وقال: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ**﴾[المزمل:١٩] ﴿**فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾[المدثر:٥٦] وقال: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[الإنسان:٣٠] وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾[يونس:٤٩] وقال: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[التكوير:٢٩] وأمثال ذلك في القرآن كثير.

---

(١) المشيئة لها معنيين: مشيئة تمكين واختيار، ومشيئة قهر وإجبار، والثانية هي المتعلقة بالآيات المستدل بها.

[الجبر]:

وقال الحسن في (مسائله)، ومحمد في (الجملة): إن الله تبارك وتعالى أعز وأجل وأكرم وأقدر، وأموره أنفذ في خلقه من أن يجبر عباده على الأفعال، وهو جل وأعز أغنى وأكرم، وأعز وأقدر، وعباده إليه أفقر في كل حالاتهم من أن يفوض إليهم أموره، ولكن استوسقت الحالات بهم على ما أراد، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾(١)[الأنعام:١٢٥] ويحبب إليه الإيمان، ويخطر على قلبه الخير، ويزين في قلبه التقوى مناً منه على عباده وفضلاً ورحمة لهم، فإذا عمل العباد بالطاعة شكر ذلك لهم وتفضل عليهم بالثواب، ومن لم يرد الله أن يهديه وكله إلى نفسه فاتبع هواه،

---

(١) قال الإمام القاسم بن إبراهيم: «وسألته: عن تأويل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾[الأنعام:١٢٥] ؟

فتأويلها رحمك الله من يرد الله أن يرشده فيزيده هدى على هدى، لأنه لا يعطي الهداية إلا من اهتدى، كما قال تبارك وتعالى في زيادته لهم هدى إلى هداهم: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد:١٧]، والتقوى فمن الهدى، وآتا، فمعناها: وأعطا، فهو آتاهم التقوى بتبصرته وتقويته لهم على ما عملوا منها، وبمنعه لهم تبارك وتعالى من الضلالة ونهيه لهم عنها، وليس بين الضلال والهدى منزلة، هادية لأهلها ولا مضلة، فمن يرد الله أن يهديه بعد الهدى، يشرح يريد: يفتح صدره للتقوى، ومن يرد أن يضله الضلالة والعمى، يجعل صدره بما اتبع من الضلالة والهوى، ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، كذلك يفعل الله بأهل الضلالة والاعتداء» مسائل القاسم.

وزين له الشيطان سوء عمله فيعمل بالمعاصي، فإذا فعل ذلك غضب الله عليه وعذبه، فالحجة لله على المطيع والعاصي.

قال محمد: فلا المطيع استغنى عن معونة الله طرفة عين ولا أقل، ولا العاصي خرج من قدرة الله طرفة عين ولا أقل، كل ناصيته بيد الله، يعمل في الكتاب، قد سبق مملوك مملوكة عليه أموره.

قال الحسن، ومحمد: قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[يونس:٩٩] وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[السجدة:١٣] وقال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[يونس:١٠٠].

قال: ولكن الله أراد(١) أن يكون من العباد مؤمن وكافر، وشقي وسعيد، ومطيع وعاص، وفريق في الجنة وفريق في السعير، بلا إجبار منه لهم ولا تفويض(١) منه إليهم.

---

(١) بمعنى التخيير والتحذير لا الجبر والحتم نحو قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[الكهف:٢٩]، وقال: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[الإنسان:٣].

قال الحسن: وكانوا كما أراد الله أن يكونوا تبارك الله أحسن الخالقين.

قال الحسن، ومحمد: ولا نقول إن الله أجبر العباد على معاصيه، ولا فوض[٢] الأمور إليهم.

قال الحسن: لأن المجبر لا يجبر على ما يحب ويهوى، فإنما يجبر على ما يكره الدخول فيه ويبغضه، وليس أحد يدخل في المعصية إلا وله فيها شهوة ومحبة، ومن زعم أن الأمور مفوضة[٣] إليه فقد زعم أن الله قد أعطاه أفضل مما أعطى الأنبياء، وكيف تكون الأمور مفوضة إلى عبدٍ والرزق والموت والحياة، والقلب والسمع والبصر والأجزاء مملوكة عليه، والقدرة محيطة به، ولو كانت الأمور إلى العباد لم يكن العاقل الشديد البطش، المنطلق اللسان، الثابت الحجة تبعاً للجاهل الضعيف، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي لا يكون إلا ما شاء كما يشاء على معنى ما شاء.

---

(١) التفويض هنا وما بعد بمعنى الإهمال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فما خلق امرؤ عبثا فيلهو، ولا ترك سدى فيلغو» أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٢٩.

(٢) التفويض بالمعنى السابق.

(٣) المراد هنا الأمور الخارجة عن القدرة الإنسانية وقد ذكر نماذج لها كالحياة والممات.

قال الحسن: والعدل من الله أن يفعل في خلقه ما يشاء[1]، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، لم يجبر الله العباد على الأفعال ولم يفوض إليهم الأمور، ولم يكلفهم إلا ما طوقهم، وجعل لهم السبيل إلى فعله، واحتج عليهم بما خولهم فقال: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[الرعد:١٩] وقال: ﴿**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[البقرة:١٩٧]، وقال: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾[الأعراف:١٩٥] وقال: هو ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾[السجدة:٩] وقال: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**﴾[البلد:٩] فلم يحرم على العباد شيئاً إلا أغناهم عنه، حرم عليهم الخمر وأحل لهم العسل واللبن والأشربة الطيبة، وحرم عليهم الزنى، وأحل لهم النكاح، وحرم عليهم الربا وأحل لهم البيع، وحرم عليهم قتل النفس وأحل لهم الجهاد، وقتال كل ممتنع من حكم الله، إذا حارب وإذا سعوا في الأرض فساداً، وقتلوا أن يقتلوا بالحق، وأشباه ذلك كثيرة مما لم يكره الله العباد على فعله، وقال: و﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ**﴾[النور:٦١] فجعل لهم العذر في

---

(١) والله تعالى لا يشاء الظلم والكفر ومختلف القبائح، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾[الزمر:٧]، ﴿**وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾[غافر:٣١]، ﴿**وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[البقرة:٢٠٥]، ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[البقرة:١٨٥].

البلوى التي يبتليهم بها وهو أرحم الراحمين، نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق إنه رحيم قدير.

وقال الحسن في رواية ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): ومن قال بالإجبار، وحمل ذنوبه على الله وما نزه الله عنه وذمه فإنه جريء جاهل، ومن قال إن الله لم يقدر بخير ولا شر فإن قوله هذا جرأة على الله، وجهل وبدعة، ولا نقول بواحدة من المقالتين[1].

قال محمد: وأخبرني محمد بن يحيى التميمي، عن جعفر بن محمد أنه سئل عن العباد أمجبرون؟

قال: لا.

قال: أمفوض إليهم؟

قال: لا.

قيل له: فدون ذلك شيء[2]؟

---

(١) الأولى للمجبرة، والثانية لبعض العدلية.

(٢) ودون ذلك هو: أنه تعالى أنعم عليهم بمختلف النعم، وكلفهم الإتيان بالواجب وجعله شاقاً عليهم، وكلفهم ترك القبائح وجعله شاقاً عليهم، وقصد سبحانه وتعالى بذلك ليفعلوا الواجب لوجوبه، ويتركوا القبيح لقبحه، ويستحقون الثواب على فعل الشاق من الطاعة وترك المعصية.

قال: نعم، ستر من ستر الله احتجب به دون خلقه.

قال محمد في (المسائل): بلغنا عن ابن عباس قال: «لا تقولوا إن الله أجبر العباد على معاصيه فتُظلِّموه، ولا تقولوا فوض إليهم فتضعفوه، ولكنا نقول إن الله أمر العباد بطاعته وأعانهم عليها، ومدحهم على فعلها، ونهاهم عن معصيته وذمهم عليها، فما كانت منهم من طاعة فلله فيها المنة، وما كان منهم من معصية فلله فيها الحجة»(١).

قال الحسن: روي عن ابن عباس أنه قال: «القدر شرك، والجبر كفر، والأمر بين ذلك»(٢).

وسئل محمد عن قوله سبحانه: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[النحل:٩٣](٣)؟ قال: يضل من أدبر عنه بالخذلان والترك، قال الله

---

(١) لم أجد له مصدر فيما لدي.

(٢) لم أجد له مصدر فيما لدي.

(٣) قال الإمام القاسم بن إبراهيم: على العبد أن يعلم أن الله جل ثناؤه ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[النحل:٩٣]، وأنه لا يضل أحداً حتى يبين لهم ما يتقون، فإذا بيَّن لهم ما يتقون، وما يأتون وما يذرون، فأعرضوا عن الهدى، وصاروا إلى الضلالة والردى، أضلهم بأعمالهم الخبيثة حتى ضلوا، كذلك قال جل ثناؤه: ﴿**وَيُضِلُّ اللهُ**

عز وجل: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾[البقرة:٢٧] ويهدي الله من أقبل إليه من أهل ولايته بالعون والتوفيق والمن الزائد، قال الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[العنكبوت:٦٩].

وسئل عن قوله عز وجل: ﴿**وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[التوبة:٨٧]؟

قال: هو الخذلان والترك لأهل الكفر والضلالات.

قال الحسني: أخبرنا جعفر بن حاجب إجازة، قال أخبرنا علي بن أحمد بن عمرو، قال: قال محمد بن منصور: بلغني عن رجل يجتمع إليه بالكوفة أنه قال: من زعم أن الله جل وعز سلط إبليس على أيوب فقد كفر، وقد غلط هذا القائل على كتاب الله، ووجهه على غير وجهه، ليس التسليط من الله لإبليس ليغوي العباد؛ لأن الله قد نهاه أن يغوي العباد، وليس ذلك كالتسليط من الله لملك الموت على قبض الأرواح، التسليط لملك الموت على

الظَّالِمِينَ﴾[إبراهيم:٢٧]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾[البقرة:٢٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[الصف:٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾[النساء:١٥٥]» كتاب العدل والتوحيد.

الأمر، وملك الموت مطيع في ذلك محمود، والتسليط من الله لإبليس على جهة التخلية خلي على شيء قد نهى عنه أن يفعله إنما هذا على جهة التملك والإقدار، أما تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿**أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[مريم:٨٣][(١)]إنما معناه خلينا إبليس منهي عن المعصية مذموم عليها.

[القضاء والقدر]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[(٢)]: قلت لأبي عبد الله أحمد بن عيسى هل المعاصي بقضاء الله وقدره؟[(٣)]

---

(١) قال الإمام الهادي إلى الحق: «إن معنى قوله سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[مريم:٨٣]، هو: خلينا ولم نحل بين أحد من بعد أن أمرنا ونهينا، وليس إرساله للشياطين إلا كإرساله للآدميين، فكل قد أمره بطاعته ونهاه عن معصيته، وجعل فيه ما يعبده به من استطاعته، ثم بصرهم وهداهم ولم يحل بين أحد وبين العمل، فمن عمل بالطاعة أثابه، ومن عمل بالمعصية عاقبه، ولم يخرج أحداً من معصيته جبراً، ولم يدخله في طاعته قسراً» كتاب الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٣.

(٣) لا يجوز إطلاق هذه العبارة في المعاصي؛ لأن ذلك يوهم أنه تعالى خلقها وأمر بها، ومعلوم ضرورة بطلان ذلك.

قال: نعم[1]، حكم الله أن سيكون ما سبق في علمه من أفعال العباد، وكان أحمد يثبت القدر خيره وشره ويقول: الإيمان من منة الله على أوليائه، وتوفيق وعصمة لتصديق علمه السابق الذي لا يبطل بعد الحجة بصحة العقل، وبما مثله يفهم المخاطبة فإن لم يفهم فهو مقطوع العدد بكمال خلقته وسلامتها من الآفات المانعة.

---

(١) بمعنى العلم والكتابة، وعن الأصبغ بن نباته قال قام شيخ الى علي عليه السلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال: «والذى فلق الحبه وبرأ النسمه ما وطئنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً الا بقضاء الله وقدره» فقال الشيخ: فعند الله احتسب عنائي ما ارى لى من الأجر شيئاً! فقال: «مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم وانتم سائرون، وفي منصرفكم وانتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطري» فقال الشيخ: وكيف القضاء والقدر ساقانا؟ فقال: ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهى، ولم تات لائمة من الله لمذنب، ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقاله عباد الأوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الامة ومجوسها، إن الله سبحانه أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا، ﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾[ص:٢٧]» شرح نهج البلاغة ج١٨ص٢٢٧-٢٢٨.

قال محمد: قلت لأحمد بن عيسى إن قوماً يزعمون أن علم الله لا يضر ولا ينفع.

فقال: بلى والله، إن علم الله السابق ليضر وينفع[1]، وذكر فيه كلاماً وشرحاً لم أحفظه، وذكر فيه آياً من القرآن ﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[الدخان:٣٢] وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واختيار الله إياه.

وقال أحمد فيما حدثنا علي عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: سألت أحمد بن عيسى عن القدر الذي نهى الله عنه ما هو؟

فقال من زعم أن المشيئة إليه، وقد سئل علي -صلى الله عليه - عن ذلك فقال: «من زعم أن الله شاء لعباده الطاعة فلم ينفذ مشيئة الله[2]، وشاء لهم إبليس المعصية فنفذت مشيئة إبليس فقد وهن الله في ملكه، وجوره في حكمه، وبرئنا إلى الله منه يوم القيامة».

---

(١) المراد بعلم الله هنا ما لا تعلق له بأفعال العباد نحو علم الله تعالى بما سيفعله تعالى من إنزال الأمطار وإنبات الثمار والأشجار، والإحياء والإماتة، وكخلق نفس السماوات والأرض وسائر ما فيهما وما سيفعله في الآخرة من البعث والثواب والعقاب وخلقه الجنة والنار وسائر أفعاله تعالى.

(٢) مشيئة القهر والإجبار نحو قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا**﴾[يونس:٩٩].

وقرأت في (كتاب محمد بن إبراهيم) و(محمد بن فرات) وسماعهما من محمد بن منصور قال: كان أحمد بن عيسى يثبت القدر خيره وشره[1].

ويقول: [لا يقال شاء العباد فيكون شبه اختيار، ولكن يقال: شاء أن يعصوه][2].

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أحسن فلله عليه المنة، ومن أساء فلله عليه الحجة في إساءته، وغير معذور في معصيته، ولن يخرج الخلق من قدرة الله وتدبيره وملكه.

وقال الحسن، ومحمد: إن الله سبحانه خلق العباد وعلم ما هم عاملون قبل أن يعملوا، وعرفهم طاعته وأمرهم بها وأعانهم عليها، وعرفهم معصيته ونهاهم عنها وأغناهم عنها[3].

قال الحسن: فليس أحد يصير إلى طاعة الله إلا بنعمة الله وفضله ورحمته، وليس أحد يصير إلى المعصية إلا بنقمة الله[1]، والحجة لله على المطيع وعلى العاصي.

---

(١) سبق ذكر معناه.

(٢) لا يصح هذا عن الإمام أحمد بن عيسى؛ لأنه يفيد الجبر صراحة ولا مجال للتأويل.

(٣) لأن علم الله تعالى سابق لا سائق ولا أثر له في تحصيل المعلوم، بل الأثر في ذلك هو للفاعل المختار.

وقال محمد في موضع آخر: إن الله خلق العباد جميعاً لعبادته، وأمرهم بطاعته وأعانهم عليها، ومدحهم عليها، ونهاهم عن المعصية، وأغناهم عنها، وذمهم على فعلها، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة والجوارح السليمة من الآفات، وأقام عليهم الحجة وندبهم إلى المحجة بما أنزل في القرآن، وجعل فيه من البيان، وركب فيهم من الجوارح التي بها يعملون وبها يحاسبون ويسألون، [ثم أخذ بجميع نواصي العباد فلم يدع شيئاً من مشيئتهم وإرادتهم إلا بمشيئته وإرادته استدلالاً على الربوبية، وتعبداً للخلائق بالقدرة، فإذا نوى عبده من عبيده خيراً اختار عليه في نيته، فإن شاء أمضاه له بعدله وتوفيقه، وإن شاء حال بينه وبينه ببعض بلائه، وما دعا الله إليه فقد جعل إليه سبيلاً، وما نهى عنه فقد جعل منه بداً][٢]، فمن تم منه الإقرار وأحسن في الأعمال كان في أهل الجنة، ومن تم منه الإقرار وأساء في الأعمال حكم عليه الديان في فعاله، فإن غفر له فبفضله وإن عذبه فبذنبه، وما الله بظلام للعبيد.

---

(١) نقمة الله تعالى لاحقة على معصيته؛ بدلالة أن له الحجة على العاصي ولا تكون حجة مع تقدم النقمة.

(٢) هذا نقض لما سبق وزيادة مدسوسة.

قال محمد: فمن علم الله منه الطاعة وقبول أمره والإنابة إليه فله من الله الهداية والمن والتوفيق(١).

وقال محمد في موضع آخر: فمن قبل أمر الله وآثر طاعته وعلم الله منه صدق النية في ذلك كله كان له من الله العون، والمن الزائد والتوفيق الزائد، وبذلك سعد، ومن علم الله منه المعصية وركوب ما نهاه عنه وإيثار هواه على طاعة الله استوجب من الله الخذلان والترك، وبذلك شقي، ولم يكن له على الله هداية ولا مَنٌّ ولا توفيق، قال: ولله إن يمن على من يشاء من عباده ويتفضل عليه بتوفيقه وبهديه.

قال الله عز وجل: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ**﴾[الأنفال:٢٣] وقال: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[محمد:١٧] وقال: ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[البقرة:١٠٥] وقال: ﴿**فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[البقرة:٦٤] وقال: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾[النور:٢١] قال الله عز وجل: ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ**

(١) وعلم الله غير سائق نحو قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾[محمد:١٧].

﴿الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[الإسراء:٥٥] وقال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[الإسراء:٢١] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[الأنعام:١٦٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] فأخبر لا شريك له أنه خلق العباد جميعاً لعبادته وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وقد تقدم الكلام في مثل هذا.

قال الحسن، ومحمد في كتاب (الجملة): فليس أحد ينال طاعة الله إلا يبدي امتنانه وفضله ورحمته، وليس أحد أعلى منزلة من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنبيائه -عليهم السلام-، وقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[الأعراف:١٨٨] وقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الكهف:٢٤] وقال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[هود:٨٨] وقال نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[هود:٣٤] وقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[يوسف:٥٣] وقال رجل من آل فرعون ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[غافر:٤٤] وقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠] وقال أهل الجنة: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[الأعراف:٤٣].

قال الحسن بن يحيى: وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[المؤمنون:١٠٦] وقال أهل النار: ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾[إبراهيم:٢١] وقال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر:٤٠] وقال الله لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[الحجر:٤٢].

وقال الحسن، ومحمد: فمن العباد من أوجب الله له الجنة والنار بسبب البلوى والاختبار(١)، ومنهم من أراد أن يدخله الجنة بسابق علمه فيهم بلا بلوى ولا اختبار، كمن لم تلزمه من الله حجة نحو المعاتيه والبله والأطفال.

---

(١) قال تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة:٨٢].

قال الحسن: وكذلك حور العين مناً منه وفضلاً ورحمة فمن مَنَّ الله عليه بالعقل والسمع والبصر والسلامة والفهم لما جاءت به الرسل، فقد وجبت عليه الحجة في اتباع ما جاءت به الرسل[1].

وقال الحسن: وقد أدخل الله النار خزنة النار وولدان المشركين الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون[2] فقال لنوح: ﴿**لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾[هود:٣٦] ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[نوح:٢٧] وأهلك الولدان في زمان عاد وثمود بالصيحة ولا ذنب لهم ولم يبلغوا الحلم والاختيار، وقتل الخضر الغلام ولم يبلغ الحلم، فبلغنا في الحديث أنه: ((**وجد في كتفه مكتوب كافر خِلقة**))[3]، ولله أن يضل[4]

---

(١) لأن ذلك مناط التكليف.

(٢) وهذا لا يختلف فيه أطفال المشركين عن أطفال المؤمنين، فكل من علم الله تعالى أنه إذا بلغ كفر يعذب وإن كان أبوه مؤمناً، ولا يعذب من إذا بلغ آمن وإن كان أبوه كافراً.

(٣) في كتاب عرائس المجالس: «إن موسى لما قال للخضر ﴿**أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**﴾[الكهف:٧٤]- الآية- غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدا» ص١٣٤.

(٤) بمعنى الهلاك أو العذاب لا بمعنى الإغواء؛ بدلالة قوله «ولا يظلمهم».

من يشاء من عباده ولا يظلمهم؛ لأنهم عبيده وملكه يفعل فيهم ما يشاء[1] بسبب البلوى والاختيار وبغير سبب البلوى والاختيار كما يشاء، ثم لا يكون ذلك ظلماً منه لعبده بل له أن يفعل ما يشاء، وليس لأحدٍ أن يدخل على الله في علمه ولا يسأله عما يفعل وهم يسألون.

وقال محمد في كتاب (الجملة): والعباد عباد الله جميعاً في ملكه ومشيئته وقدرته وسلطانه يفضل بعضهم على بعض كما يشاء وكيف يشاء، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وقال لا شريك له: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾[الزخرف:٣٢] وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[السجدة:٢٤] وقالت الرسل: ﴿**إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[إبراهيم:١١] وقال: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾[الأنعام:١٢٥] أي يجعل فيه نوراً يقبل به الإسلام ويحببه إليهِ ﴿**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾[الأنعام:١٢٥] فمن لم يكن له من الله نور فماله من نور، وقال: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ**

(١) والله لا يشاء القبيح.

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الأنعام:١١٠] يقال في التفسير نقلب أفئدتهم وأبصارهم على الكفر عقوبة كما لم يؤمنوا به أول مرة.

وقال محمد في (المسائل): إن الله خلق الخلق بقدرته وجعل بينهم التفاضل بعلمه وجعل منهم عباداً اختارهم لنفسه ليحتج بهم على خلقه قال الله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[الإسراء:٥٥] وقال: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الدخان:٣٢] وقال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[الإسراء:٢١] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾[النور:٢١] وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧] فكان فضل الله عليهم ورحمته قبل طاعتهم إياه.

وقال الحسن ومحمد في وقت آخر: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[الأنعام:١٢٥] فيحبب إليه الإيمان ويجعل في قلبه نوراً يقبل به الإسلام ويحط على قلبه الخير ويزين في قلبه التقوى مناً منه على عباده ورحمة وفضلاً، ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ[1] يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

(١) أي يحكم تعالى عليه بأنه ضال بفعله.

يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام:١٢٥] فمن لم يكن له من الله نور فماله من نور.

قال الله عز وجل: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[الأنعام:١١٠].

قال الحسن: قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾[الأنعام:١١١].

وقال الحسن في موضع آخر: فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أراده في الامتنان والتوفيق وألهمه التقوى وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ووفقه للعمل الصالح مناً من الله ورحمة يختص بها من يشاء من عباده ويفضل بعضهم على بعض كيف يشاء عن غير استحقاق، فأعطى الأنبياء من خزائن رحمته وبفضله ومنه وتوفيقه وخصهم برسالته ورفعهم على خلقه مناً منه ورحمة وفضلاً ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، ولله ملك السماوات والأرض وما فيهما فهم في ملكه والقدرة محيطة بهم يفعل في عبيده ما يشاء ويملك حياتهم وموتهم وأرزاقهم وحركتهم ومنطقهم وشهوتهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم

فليس يتحرك متحرك ولا يطرف طارف ولا ينطق ناطق إلا وهو في ملكه والقدرة محيطة بهم، وعلم الله وتقديره ومشيئته[1] سابقة فيهم قبل خلقهم.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾[النور:٢١] فالحجة على المطيع والعاصي، وما يتفضل الله به على العباد من العفو أكثر من العقوبة.

قال الله: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾[فاطر:٤٥] وقال: ﴿**وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[الشورى:٣٠] والكثير من الله كثير، وليس للعباد على الله سبحانه أن يخلقهم ولا لهم عليه أن يهديهم فكل خيرٍ ناله العباد فإنما هو بمن الله وفضله، وإنما خلق الله العباد عبيداً مماليك يملكهم ويملك جميع ما خولهم، وبالخلق إلى الله الحاجة في كل وقت، والله الغني عنهم وهم الفقراء إليه، وقال: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ**﴾[النحل:٧٥] وقال: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾[الكهف:٢٤] وقال: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[الأنبياء:٢٣].

---

(١) سبق ذكر المشيئة وأنواعها.

وسئل الحسن عن السعيد والشقي[1]متى يكون سعيداً ومتى يكون شقياً؟

فقال: السعيد في علم[2]الغيب عند الله سعيد قبل أن يخلق الخلق ولا يكون من فعل العبد وما يختم له به إلا بعمل السعادة حتى يجعله سعيداً بعمله[3]برحمة الله له، ويكون فعله موافقاً لما سبق من علم الله فيه، والشقي في علم الله شقي قبل أن يخلق، ولا يكون من فعله وخاتمة عمله إلا بفعل الأشقياء حتى يكون عمله[4] وما ختم الله به موافقاً لما سبق من علم الله أنه شقي، نسأل الله أن يمن علينا بالسعادة ولا يجعلنا من الأشقياء برحمته فإنه ولي ذلك والقادر عليه، قال: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾[الأحزاب:٣٨] وقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[يونس:٩٩] وقال:

---

(١) الجنة مصير السعداء والنار مصير الأشقياء؛ قال تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ... فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ... وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ**﴾[هود:١٠٥-١٠٨].

(٢) وعلم الله كما سبق غير سائق.

(٣) فالسعادة نتيجة العمل الصالح؛ قال الله تعالى: ﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:٤٣].

(٤) والشقاء نتيجة للعمل السيئ؛ قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾[يونس:٥٢].

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود:١١٩] للرحمة، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[الأعراف:١٧٩] وقال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[مريم:٧١] وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[الأنعام:١٢٥] وقال: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات:٨] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣] وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥] وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[فصلت:١٧] فأخبر الله سبحانه أنه لم يعذب من عصاه إلا بعد البيان والحجة والإعذار إليهم، فكان عذابه لهم عقوبة إذ عصوه(١).

وقال محمد في (المسائل): وسألت عمن يقول: إن الله لم يخلق شقياً ولا سعيداً، فإنا نقول: إن الله قد خلق(٢)الشقي والسعيد فلن يزول عن

---

(١) هذا يؤكد خلاصة ما سبق وما يتوهم من ألفاظ في البداية.

(٢) باعتبار ما يصدر منهم من أسباب الشقاوة والسعادة لا أنه خلقهم وجعلهم سعداء وأشقياء دون فعل منهم يؤكده ما سبق.

الشقي أن يكون شقياً ولن يزول عن السعيد أن يكون سعيداً، وهو الذي سبق في علم الله أن يسعد أولياءه ويشقى أعداءه.

قال الله عز وجل: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ**﴾[هود: ١٠٨].

وقال الحسن فيما رواه ابن صباح عنه وهو قول محمد في (المسائل): وسئل عن القدر، ومن قال إن الله خلق شقياً وسعيداً وإن القضاء قد سبق، فإنا نقول في ذلك بجمل من الكتاب، وآثار بلغتنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نجاوز ذلك إلى غيره أن الله خلق العباد وعلم أعمالهم قبل أن يعملوها، وعلم ما هم إليه صائرون[1]، وقد عرفهم الطاعة وأمرهم بها، وعرفهم المعصية ونهاهم عنها بعد علمه بما يعملون من ذلك ويختارون، فما كان من العباد من طاعة فلله فيها المنة، وما كان منهم من معصية فلله فيها الحجة، وهذا ما أجمع عليه المختلفون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مؤد إلى الله عز وجل، وقد أمر الله بالألفة

(١) بأفعالهم.

والاجتماع ومدح أهلها عليها، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وذم أهلها عليها، وقال الله: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[آل عمران:١٠٥].

وقال الحسن ومحمد: ومن قال إن الله لم يقدر في خير ولا شر فإن قوله هذا جراءة على الله وبدعة وجهل، ومن قال بالإجبار وحمل ذنوبه على الله وما تنزه الله عنه وذمه في الكتاب فإنه جريء جاهل ولا يقول بواحدة من المقالتين-يعني الجبر ونفي القدر-(١).

قال محمد: ومن قال: إن الله لم يقدر في خير ولا شر(٢)فإنا ننسبه إلى الغلو في القدر الذي نهي عنه، ونقول إن الله الذي قدر الخير والشر على ما أراد فجعل الخير خيراً وجعل الشر شراً ومشيئة الله محيطة بمشيئة العباد.

قال الحسن ومحمد في كتاب (الجملة): وبلغنا عن علي صلى الله عليه أن رجلاً سأله عن القدر، فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، فقال: يا أمير

---

(١) سبق ذكر هذا والتعليق عليه.

(٢) من ناحية إطلاق اللفظ؛ لأن ذلك يوهم بأن قدرة الله متناهية لنفي قدرته على الشر، وأما هل يفعل الله الشر؟ فالمعلوم ضرورة لا مع القدرة عليه.

المؤمنين ما تقول في القدر قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: فسكت الرجل ساعة، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما تقول في القدر؟

قال: «سر الله فلا تفتشه»[1].

قال الحسن بن يحيى: ثم إن أمير المؤمنين صلى الله عليه قام فأحدث طهوراً، ثم قال: أين السائل عن القدر؟ فقال الرجل: أنا يا أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين: أخبرني عنك أخلقك الله كما شاء أن يخلقك، أو كما شئت؟ قال: كما شاء، قال: فأخبرني عما تأتي به يوم القيامة من عمل بما شاء الله أو بما شئت؟[2] قال: بما شاء الله، قال: فأخبرني عما يصيرك الله إليه يوم

---

(١) في شرح نهج البلاغة «سر الله فلا تتكلفوه» والمراد نهي المستضعفين عن الخوض في إرادة الكائنات، وفى خلق أعمال العباد؛ فإنه ربما أفضى بهم القول بالجبر، لما في ذلك من الغموض، وذلك أن العامي إذا سمع قول القائل: كيف يجوز أن يقع في عالمه ما يكرهه، وكيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق! ويقول ايضا: إذا علم في القدم أن زيدا يكفر، فكيف لزيد أن لا يكفر! وهل يمكن أن يقع خلاف ما علمه الله تعالى في القدم، اشتبه عليه الامر، وصار شبهة في نفسه، وقوى في ظنه مذهب المجبرة، فنهى عليه السلام هؤلاء عن الخوض في هذا النحو من البحث، ولم ينه غيرهم من ذوى العقول الكاملة، والرياضة القوية، والملكة التامة، ومن له قدرة على حل الشبه، والتفصى عن المشكلات. شرح نهج البلاغة ج١٩ص١٨١.

(٢) لا يمكن أن تفسر المشيئة هنا بالقهر والاجبار كالخلق؛ لأن ذلك يبطل التكليف، وحتماً لا يصح هذا عن أمير المؤمنين عليه السلام.

القيامة إلى ما شاء الله[1]أو إلى ما شئت؟ قال: إلى ما شاء، قال: فهل ترى إلى أحدٍ شيئاً من المشيئة.

وروى محمد بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **((أعمال العباد كلها على مشيئة الله وإرادته))**[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خطبته: **((إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تنقصوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها))**[3].

قال الحسن ومحمد: ومن كان له جار قدري[4] أو مرجي[5] ينادي بذلك ويمتحن عليه الناس، ويعادي على ذلك المسلمين فلا حق له

---

(١) مشيئة الله إدخال المؤمنين الجنة والعاصين النار.

(٢) لا تصح هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كانت قابلة للتأويل؛ لأن مسائل الإرادة والمشيئة لم تكن مثارة آنذاك.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ص٢٦٣.

(٤) من يقول بأن أفعال العباد مقدرة عليهم لا خيار لهم فيها.

(٥) من لا يقطع على المعاصي بعقوبة.

كحرمة المسلم، وإن كان إنما يومي إليه بذلك، ولا ينادي به فله ما للمسلمين في الجملة.

قال محمد: وحدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال حدثنا عمر أبو حفص القزاز، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه -عليهم السلام-، وعن علي -صلى الله عليه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((سبق العلم وجف القلم، ومضى القضاء وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل، وما العباد عاملون، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى، وبالشقاء من الله لمن كذب وكفر، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالبراءة من المشركين، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أروي حدثني عن الله سبحانه قال الله تبارك وتعالى: «بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي قويت على معصيتي، وبعصمتي وقوتي وعافيتي أديت إلي فرائضي أنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك مني؛ لأن الخير بما أوليتك مني بدا، والشر مني بما جنيت جزاء، وبكثير من تسليطي إن طويت على طاعتي، وبسوء ظنك فيَّ قنطت من رحمتي، لي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، يا ابن آدم لم أدع تحذيرك ولم آخذك عند غرتك، ولم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من**

الأمانة إلا ما أقررت به على نفسك، ورضائي لنفسي منك ما رضيت لنفسك مني»))[1].

وروى الحسن بن يحيى بعض هذا الحديث[2] بلا إسناد وقال: قال أمير المؤمنين: ((**ألا إن أبغض خلق الله إلى الله عبد وكله إلى نفسه**))[3].

وروى محمد عن علي بن الحسين أنه لما حضرته الوفاة بكى فقال له ابنه أبو جعفر -عليهم السلام- يا أبتاه تبكي وقد طلبت الله طلباً ما طلبه أحد؟ فقال: يا بني إنه ليس أحدٌ يشهد القيامة إلا وله زلة[4]، ولله فيه المشيئة، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه.

وسئل محمد عمن يقول: كل شيء بمشيئة[5]الله، ولولا مشيئة الله ما قدر أحد أن يفعل شيئاً؟ نقول: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣٣٠.

(٢) السابق ذكره.

(٣) لم أجد له مصدر فيما لدي.

(٤) المراد بالزلة الصغيرة.

(٥) مشيئة الرضى والاختيار.

أنه قال: ((**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء**)) وذكر الحديث.

قال محمد: وسئل عن حدَّ الخير والشر؟

فقال: حد الخير كلما قرب من الله، والشر كلما باعد من الله، والحق كل ما أمر الله به وندب إليه، والباطل ما نهى الله عنه وذم عليه.

[الآجال]:

مسألة: قال محمد في (المسائل) سألت القاسم بن إبراهيم-يعني عمن يقول- من قتل مات بلا أجل، ولو لم يقتل ما مات، وذكرت له قول من يقول إنه لما قتله قطع أجله؟ فعاب القاسم هذا القول وأقدم على من قال به بالمكروه، وسألته عمن يقول به، فقال: هالك(١).

وقال الحسن: وأما ما سألت عنه من قولهم إن من قتل إنساناً فلا يكون ملك الموت قابض لروحه؟ فقد ردوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾[السجدة:١١] وقال: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[آل عمران:١٨٥] وقال: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي**

(١) هذه المسألة اختلف فيها ولا يمكن القطع بموت من قتل لو لم يقتل.

﴿لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾[الزمر:٤٢] فقد أخبرنا الله أنه يتوفى الأنفس حين موتها، وأن ملك الموت يتوفى الأنفس عن أمره، وقال: قال الله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَّ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ رَمَى﴾[الأنفال:١٧] وقد قال في يحيى بن زكريا: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[مريم:١٥] وإنما قتل يحيى بن زكريا قتلاً، وقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[آل عمران:١٤٣] وإنما كان الموت بالقتل.

[الأرزاق]:

وسألت عمن يقول إن الذئب إذا وثب على الشاة فأخذها أنه هو الذي رزق نفسه وليس خالقه الذي رزقه؟ فهذا القول رد حكم الكتاب البينة المنصوصة، قال الله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهَّ رِزْقُهَا﴾[هود:٦] وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الروم:٤٠] وقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُّ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[العنكبوت:٦٠] وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهَّ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[فاطر:٣] وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[الزخرف:٣٢] فجعل بعضهم أقوى من بعض وبعضهم يحسن

صناعة لا يحسنها غيره حتى أن الكناس وهو أدناهم منزلة في الدنيا ليأخذ رزقه من أعلاهم منزلة في الدنيا؛ لأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً من أسباب أرزاقهم لا يمتنعون منه ولو كان اكتساب الرزق إلى العباد لكان بالشديد البطش، الكامل العقل، البارع البيان والحجة، أكثر رزقاً من الأحمق الضعيف، ولكن الله سبحانه احتج على عباده أنه المنزل لأرزاقهم المالك لخلقهم وأمورهم، فقال: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأعراف:٥٤].

وقال محمد في (المسائل): وسألت عمن يقول من قتل مات بلا أجل ولو لم يقتل ما مات؟ وهذا قول سوء سيء ردي ولكن يوافق أجله وقت القتل، ولو لم يقتله مات في ذلك الوقت[١] وقد سئل الحسن البصري عن ذلك فقال: «يا لكع فمن يأكل رزقه»[٢].

وروى محمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: «الناس في القدر على ثلاث منازل، فمن جعل للعباد في الأمر مشيئة فقد ضاد الله في أمره، ومن أضاف إلى الله ما تبرأ منه وتنزه عنه فقد افترى على الله افتراء عظيماً، ورجل

---

(١) لا يمكن القطع بموته؛ لأن القول بذلك ينفي فعل الإماته عن القاتل لأنه سيموت حتماً وبالتالي ينفي الذنب عنه.

(٢) لم أجد له مصدر فيما لدي.

قال إن رحم فبفضل وإن عذب فبعدل[1]، فذلك الذي سلم الله له دينه ودنياه جميعاً، لم يجهله في علمه ولم يُظَلمه في خلقه»[2].

[الآلام]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[3]: أخبرني رجل أثق به أنه سمع هذا من القاسم بن إبراهيم سألت عما يصيب الأطفال من الألم كيف كان الله عز وجل فيما يصيبهم به غير ظالم، ولو فعل بهم غيره ذلك لكان ظالماً؟ قيل له ولا قوة إلا بالله: الفرق فيه عند من أنصف أبين من كل بيان؛ لأن الله عز وجل ولي كل ما بالأطفال من نعمة، وليس بمأمور ولا منهي في شيء من ذلك فلله الشكر واجباً فيما بهم من نعمة وحسنة، وليس لهم على الله عز وجل في ذلك من نعمة واجبة، وكل ما وصل إليهم من الله من ألم أو أذى ففيه موعظة وعبرة لأولي النهى، ودليل على قدرة الله، ولو كان يلزم من ذلك شيء من التجوير والظلم للزم فيما هو أكبر من ذلك من موتهم الذي هو ألم الآلام، وكذلك أيضاً كان يلزم في موت الأبرار وهم أفضل من

---

(١) لا علاقة للمنزلة الثالثة بسابقاتها.

(٢) لم أجد له مصدر فيما لدي.

(٣) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٥.

الأطفال، وليس في هذا والحمد لله مسألة يلزم بها تعنيف، ولا يضل بها إلا كل متحير.

[تعذيب الأطفال]:

قال أحمد بن عيسى فيما حدثنا علي عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: ذكرت لأحمد بن عيسى أطفال المسلمين فقال: في الجنة، وسألته عن أطفال المشركين فقال: قد اختلف فيهم، ولكن قد علمنا أن الله سبحانه لا يعذب أحداً حتى يحتج[1].

وروى محمد بن فرات وراق محمد بن منصور، عن محمد قال: قال أحمد بن عيسى كان زيد بن علي -عليه السلام- يقول: «أطفال المشركين والأبكم، والشيخ الفاني، يقولون يوم القيامة يا رب بعثت رسولاً وأنزلت كتاباً وأنا طفل لا أعقل، ويقول الشيخ: وأنا فانٍ لا أعقل، ويقول الأبكم: وأنا لا أعقل»، فيقول الله جل وعز: ((**صدقتم أنا باعث إليكم رسولاً فمن أطاعه كان كمن أطاعني في الدنيا، ومن عصاه كان كمن عصاني في الدنيا، فيخدد الله لهم اخدوداً من النار ثم يقال لهم: ادخلوها فمن دخلها منكم**

(١) قد سبق ذكره.

كانت عليه برداً وسلاماً)) قال: وليس يدخلها أحد منهم لعلم الله فيهم، وسألت أحمد بن عيسى عن الحديث في الأطفال أتثبته؟

قال: قد جاء ذلك عن زيد بن علي وأنا متردد فيه، فلم يثبته[1].

وقال الحسن بن يحيى: قد أدخل الله النار أولاد المشركين[2] الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون، قال الله سبحانه لنوح: ﴿**لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾[هود:٣٦] ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[نوح:٢٧] وأهلك الولدان في زمن عاد وثمود بالصيحة ولا ذنب لهم، ولم يبلغوا الحلم والاختيار، وقتل الخضر الغلام ولم يبلغ الحلم، فبلغنا في الحديث أنه وجد في كفه مكتوب كافر خلقة[3].

وقال الحسن أيضاً فيما روى ابن صباح عنه وهو قول محمد في المسائل: صح لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**أولاد المسلمين في الجنة**))[4].

---

(١) لا يصح عن الإمام زيد بن علي عليه السلام ويزيد ذلك تأكيداً تردد حفيده فيه.

(٢) والمسلمين أيضاً من سبق في علمه على هذه القاعدة.

(٣) سبق ذكره.

(٤) لا تصح هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما أولاد المشركين فقد اختلف في الرواية عن رسول الله فيهم، والأمر فيه إلى الله سبحانه؛ لأن الله يقول: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾[الشورى:١٠] وقد اختلفت الرواية في أطفال المشركين فهذا مما لا يعلم أن العبد يسئل عنه يوم القيامة فيرد حكمه إلى الله، ونحن نعلم أن الله لا يعذب أحداً حتى يحتج عليه(١)، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[الإسراء:١٥].

وقال محمد: سألت أحمد بن عيسى فأجابني بنحو هذا الجواب.

[القرآن الكريم]:

قال محمد في (كتاب أحمد)(٢): ذاكرت عبد الله بن موسى في قول من يقول القرآن مخلوق، فقلت: أدركت أحداً من آبائك يقول به؟ قال: لا(٣) .

---

(١) وهذا يؤكد تساوي أولاد المشركين والمسلمين.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٤.

(٣) لم يكن شائعاً ذلك القول حتى أُحدث القول بنفي خلقه مما يدل على قدمه، فكان القول بخلقه إنما رداً على تلك الدعوى وآثارها.

قال محمد: وكان عبد الله -عليه السلام- يكره الكلام فيه وفي غيره مما أحدث الناس[1]، وكان عبد الله إذا ذكر له رجل من يتكلم فيما أحدث الناس من كلام، قال: اللهم أمتنا على الإسلام ويمسك.

وقال محمد في كتاب (الجملة): رأيت أحمد بن عيسى يترحم على من يقول بخلق القرآن ومن لا يقول به، وكان عنده الأخذ بالجمل محمود، وترك ما فيه الفرقة وهو عنده اتباع للسلف.

قال محمد: حدثني علي بن أحمد الباهلي أنه ذكر أحمد بن عيسى اختلاف الناس في خلق القرآن، فقال أحمد: كلا الفرقتين مخطئة في إقدام بعضهم على بعض بالبراءة[2].

قال الحسني: حدثنا أبو حازم محمد بن علي الوشا، قال حدثنا إسحاق بن محمد المقري، قال أنبأنا علي بن الحسين بن كعب، قال حدثنا يحيى بن حسن بن فرات، ومحمد بن جميل، ومحمد بن راشد قالوا: سألنا عبد الله بن موسى بن عبد الله فقلنا له: ما تقول في القرآن؟

---

(١) وهذا يؤكد ما سبق.

(٢) وهذا الواجب عند اختلاف وجهات النظر.

قال: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر[1]لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦].

حدثنا محمد بن جعفر بن النجار، وأبو طالب بن الصباغ، وزيد بن مصانة، عن علي بن عبد الرحمن بن ماتي، عن علي بن الحسين بن كعب بمثله، حدثنا ميمون بن حميد، قال: حدثنا إسحاق بن محمد، قال حدثنا عبيد بن كثير، قال حدثنا عباد بن يعقوب، ويحيى بن حسن بن فرات قالا: سمعنا عبد الله بن موسى بن عبد الله يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق[2].

حدثنا الحسين بن محمد البجلي المقري، قال حدثنا علي بن سفيان بن يعقوب، قال حدثنا سعدان بن محمد بن سعدان، قال سمعت الحسين بن الحكم بن مسلم يحدث أن القاسم كتب إلى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن يسأله عن القرآن، فكتب إليه عبد الله: نحن نرى أن الكلام

---

(١) إن صحت الراوية فمخلوق بمعنى مفترى وليس محدث؛ لأن القرآن يؤكد حدوثه وعامة أهل البيت يقولون بذلك، ولا يمكن حمل التكفير على القول بالحدوث لأن الحكم سيشمل أهل البيت بمن فيهم من نقل عنه.

(٢) كما سبق أنه كلام الله وينسب إليه لا أنه مفترى عليه.

في القرآن بدعة[1] اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، فانته بنفسك والمختلفون في القرآن إلى أسمائه الذي سماه الله بها تكن من المهتدين، فلا تسم [القرآن][2] بأسماء من عندك فتكون من الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[3].

حدثنا ميمون بن علي بن حميد، قال أخبرنا إسحاق بن محمد المقري، قال حدثنا الحسن بن أبي جعفر المقري، قال حدثنا إبراهيم بن بشر، قال: قلت لعبد الله بن موسى ما تقول في القرآن؟

قال: كلام الله وكتابه، فقلت: إن عندنا قوماً يقولون إنه مخلوق، ويقولون من لم يقل إنه مخلوق فهو كافر، قال: هم أولى بالكفر[4].

---

(١) من وصفه بما ليس عليه كمنافاة الحدوث من خلال القول بالقدم.

(٢) الصواب فلا تسم الله لا القرآن ولعل ذلك خطأ من الناسخ أو تعمد من غيره.

(٣) قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:١٨٠].

(٤) الجرأة على التكفير ليس من عادات أعلام هل البيت وهذا يفيد عدم صحة هذا الحكم إليه.

قال محمد في كتاب (الجملة): وسألت القاسم بن إبراهيم عن القرآن فقال: كلام الله ووحيه وتنزيله، لا نجاوز هذا إلى غيره[1]، وهكذا كان أسلافنا .

قال محمد: وكان يقول بخلق القرآن يضمر ذلك، وقال لي القاسم: يقال للذين يقولون القرآن مخلوق أليس قد علم الله أنه مخلوق؟ فإذا قالوا نعم، قيل لهم: أليس قد علم الله أنه مخلوق واجتزى من الخليقة أن قال لهم مجعول؟ فإذا قالوا نعم، قيل لهم: فَلِمَ لا تجتزون من خلق الله بما اجتزى الله به في خلقه.

قال محمد: وذلك حث منه على القول بالجمل، وترك الاختلاف والفرقة[2].

حدثنا ميمون بن حميد، عن إسحاق بن محمد التمار، عن قاسم بن عبيد، عن بنين بن إبراهيم قال: قلت لقاسم بن إبراهيم قال لي ابن منصور عنك أنك قلت: من زعم أن القرآن مخلوق فقد ابتدع، فقال: نعم هما بدعتان، لم يبلغنا أنهم قالوا: مخلوق ولا غير مخلوق، ولكنا نقول كلام الله ووحيه.

---

(١) من القول بقدمه أو نفي حدوثه.

(٢) وهذا يؤكد الغاية من كراهة القول بذلك لا أنه لا يجوز، وذلك سعياً منهم للوحدة الإسلامية وترك ما يؤثر على ذلك من الألفاظ.

حدثنا الحسن بن أحمد بن القطان، قال حدثنا زيد بن محمد بن أبي الناس، قال حدثنا قاسم بن عبيد، قال حدثنا أحمد بن سلام، قال سألت القاسم بن إبراهيم عن القرآن، وأخبرته بما روي عن زيد بن علي أنا لا نشبه بالله أحداً، ولا نقول لكلام الله مخلوق، فقال: هكذا أقول.

وقال محمد: حدثنا أبو الطاهر عن ابن أبي فديك، عن بن أبي ذئبٍ، عن الزهري، عن علي بن الحسين أنه سئل عن القرآن، فقال: كلام الله وكتابه ولا أقول غير ذلك، وحدثني حرب بن حسن الطحان، عن أحمد بن مفضل، عن معاوية بن عمار، قال: سألت جعفر بن محمد -عليه السلام- عن القرآن خالق أو غير مخلوق، فقال: لا خالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الخالق.

قال محمد: وكان عمرو بن الهيثم المرادي من كبار أصحاب سليمان بن جرير، وكان يقول القرآن مخلوق ويشدد في ذلك، وسمعته يقول: لا رحم الله ابن أبي داود كان الناس على جملة تؤديهم إلى الله عز وجل، فطرح بينهم الفرقة-يعني حين أظهر المحنة في القرآن-[1].

(١) وهذا مزيد من التأكيد على الغاية من كراهة القول بخلق القرآن.

قال محمد: وكان عمرو بن الهيثم، وبشر بن الحسن، ومحمد بن يحيى الحجري دعاة لعبد الله بن موسى ومذهبهم واحد-يعني كانوا يقولون بخلق القرآن-، وكان عبد الله بن موسى قد بعث ابنيه أو أحدهما مع بشر بن الحسن إلى طاهر بن الحسين يدعوه إلى هذا الأمر، مع معرفة عبد الله بقول بشر ومعرفة بشر بعبد الله، وقوله بالجمل فلم أر أحداً من هؤلاء دان بالبراءة ممن خالفه في المقالة(١).

قال محمد: وذكر عبد الله بن موسى محمد بن يحيى الحجري فقال: كان أصدق أهل الكوفة لي.

قال محمد: وقال لي محمد بن عبد الله الاسكافي - وكان يقول بخلق القرآن - إذا كان هذا الأمر كتبنا على الأعلام لا إله إلا الله محمد رسول الله، القرآن كلام الله، نريد بذلك الألفة، واجتماع الكلمة، وترك الاختلاف والفرقة(٢).

---

(١) وهذا هو المسلك الواجب عند اختلاف وجهات النظر.

(٢) وهذا أيضاً مؤكد للجهود الزيدية في السعي إلى الوحدة الإسلامية من خلال التعويل على الجمل دون التفاصيل وما ينتج عنها من خلاف.

قال محمد: وقد عاشرت رؤساء المعتزلة ومن لا أحصي منهم ممن يقول بهذا القول، ومنهم جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر القصبي، ومحمد بن عبد الله الاسكافي، فما سألني أحد منهم قط عما يختلف الناس فيه من أمر القرآن والاستطاعة، ولا كشفوني عن شيء من ذلك، فأخبرني أبو سهل الخراساني أنه كان رسول سهل بن سلامة، وهو من كبار المعتزلة وعبادهم إلى عبد الله بن موسى يدعوه أن يتقلد هذا الأمر ويكون سهل عوناً له عليه(١).

قال محمد: فهذا غير سبيل المنتحلين اليوم للدين(٢)، وغير ما أظهروا وشرعوا من التباين والبراءة والتكفير، وهذا هو الفُرقة والاختلاف الذي نهى الله عنه في القرآن بقوله: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[آل عمران:١٠٥] وقوله: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[آل عمران:١٩] فأخبر الله سبحانه أن اختلافهم بغي من بعضهم على بعض، وأخبر عز وجل أن في الفُرقة الضعف والفشل عن العدو، فحذر من ذلك بقوله: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ**

(١) هذه سيرة فضلاء السلف رحمهم الله.

(٢) فكيف بالعصور اللاحق لهم بل بعصرنا الذي يعد التكفير والبراءة من ظواهره.

رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:٤٦] يقول لا شريك له: فتذهب هيبتكم، فهذا ما ندب الله عليه مع ما رأينا عليه السلف الصالح المتقدم، الذين يصلح أن نجعلهم بيننا وبين الله؛ لأنهم لا يخلون من إحدى منزلتين، إما أن يكونوا علموا أن الديانة فيما بينهم وبين الله القول ببعض هذه المقالات التي تنازع الناس فيها حق واجب لازم، فأجزأهم من ذلك الإضمار ورأوا الصواب والرشد في الامساك عن إظهار ما فيه الفرقة والاختلاف، الذي نهى الله عنه، فرأوا الجمل والقول بظاهر القرآن كافياً مؤدياً للعباد إلى الله عز وجل فتمسكوا بذلك، فينبغي لمن أم الدين وقصد إلى الله، الاقتداء بهم، والتمسك بسبيلهم، أو يكونوا لم يعتقدوا في ظاهر الأمر وباطنه إلاّ القول بظاهر القرآن والجمل المجتمع عليها فقد يجب الاقتداء بهم أيضاً في ذلك.

قال محمد: وهذا أحمد بن عيسى قد اجتمع عليه المختلفون، واتحد من يشركه في أمره جماعة من المتفرقين، وقد كتب إليه عبد الله بن محمد بن سليمان يسأله عن القرآن وغيره باختلاف الناس فيه، فكان فيما كتب إليه أحمد بن عيسى ذكرت اختلاف الناس في القرآن ولم يختلفوا أنه من عند الله، فهذا من أحمد دليل على أن الأخذ بظاهر القرآن والجمل المجتمع عليها مجز مؤدٍ إلى الله عز وجل، وقد علمت أن رجال أحمد بن عيسى الذين كان يوجههم في أموره مختلفين، منهم حسن بن هذيل على مذهب أبي الجارود، ومنهم عبد الرحمن بن معمر وهو يظهر القول بالقرآن لا يستتر به، ومخول

بن إبراهيم، وأمثالهم كثير من المختلفين، فلم نره بأن تفرقه يفارق فيها أخرى، وقد كان -رحمة الله عليه- عالماً بما يضيق عليه من ذلك، وما يتسع له في أمر دينه، ولو ضاق عليه ذلك لم يفعله، وهذا الحسن بن يحيى أنا متصل به منذ أربعين سنة أو قريب من ذلك، يعاشر ضروباً من المتدينين مختلفين في المذاهب، فما رأيته مع قوله بالجملة، وكراهيته للفرقة امتحن أحداً، ولا كشف له عن مذهب، بل قد رأيته يعمهم بالنصيحة، ويحسن لهم العشرة، وترحم على من مضى من سلفه وأهل بيته، ممن يوافقه في المقالة ويخالفه، هذا مع جلالة سنه، وكثرة علمه، ومعرفته بما يلزم في ذلك ويجب عليه(١).

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن الله خلق كل شيء، والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، يسمى بما سماه الله به في كتابه، لا يجاوز ذلك إلى غيره(٢).

وقال الحسن: وسئل عن القرآن؟ قد وجدنا الله سبحانه سمى القرآن بأسماء في كتابه لم يرد من خلقه أن يتكلفوا للقرآن اسماً غير ما سماه الله به، وقبل ذلك من أهل الإسلام في عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) هذه طريقة الأئمة عليهم السلام في جمع الأمة الإسلامية والسعي إلى وحدتها.

(٢) وقد جاء في القرآن أنه محدث.

ومن القرون التي كانت من بعده حتى تكلم المتكلمون بالرأي، وتراقوا في دينهم رجماً بالغيب إلى صفة ما لا يدركونه من نعت خالقهم، وحتى نحلوا القرآن أسماء برأيهم لم يجدوه منصوصاً في آية محكمة يستغنى بها في التأويل، واحتجوا بأنهم لم يجدوا للمجعول معنى يصرفونه إليه إلا مخلوقاً، فسموا القرآن برأيهم مخلوقاً ولم يسموه مجعولاً كما قال الله، ومنزلاً ومحدثاً كما قال الله، ولم يتراقوا رجماً بالغيب إلى تحديد القرآن من ذات الله تبارك وتعالى عن أن يدركه الواصفون إلا بما وصف به نفسه في كتابه، بلا تحديد ولا تشبيه ولا تناهي، ومعنى قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[الزخرف:٣] صيرناه، قال الله سبحانه: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾[ص:٢٦] يعني إنا صيرناك خليفة في الأرض، ولسنا نقول إن القرآن خالق ولا مخلوق، ولكنا نسميه بالأسماء التي سماه الله بها في محكم كتابه، قال الله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء:١٦٤]، وقال: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[الشورى:٥١] وقال: يا موسى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[طه:١٤].

فمن زعم أن الداعي لموسى إلى عبادته غير الله فقد ضل، وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[الشورى:٥١] فقد بين الله لنا كيف جهة كلامه، فكلام من هو كلامه أرسل به جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم، ومن كلامه وحي بلا رسول، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص:٧] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[النحل:٦٨] فقد أوحى بلا رسول، ومنه الوحي إلى الرسل في النوم، ومن كلامه لموسى -عليه السلام- بلا كيفية، فليس لنا أن نكيف ما لم يكيف الله، ولا نحد ما لم يحد الله، فمن حد ما لم يحدد الله فقد اجترى على تأويل علم الغيب بلا حجة، والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه، وقال: ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[البروج:٢٢] وقال: ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[الواقعة:٧٨] وقال: ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢] وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[الشعراء:٥] فأحدث في قلوب العباد بالرسل من تنزيل الكتاب ما لم يكونوا يعلمون، وإنا وجدنا الله يقول في كتابه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهَّ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[لقمان:٢٧] وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠].

فإذا كان القرآن يكون بكن ويكون كن يكن فمتى يتناهى علم من رجم بالغيب في معرفة كينونة القرآن من ذات الله، وقد قال علي -صلى الله عليه -: «يا بردها على الكبد إذا سئل المرء عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم».

حدثنا زيد بن حاجب، عن ابن وليد، عن جعفر بن الصيدلاني قال: أخبرني يحيى بن أبي عطاء البزاز أنه سمع الحسن بن يحيى يقول: ليس بمخلوق -يعني القرآن-.

وقال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): وسئل عمن يقول القرآن مخلوق أو غير مخلوق فقالا: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، نقول في ذلك ما قال الله ولا نتعدى ذلك إلى غيره، والله خالق كل شيء، الأول قبل كل شيء وخالقه، والباقي بعد كل شيء ووارثه، وكلما كان من دون الله فهو مخلوق(١).

قال الحسن: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمة معهم على أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً، وأجمعوا على أنه لا يسع أحداً أن يتكلم في القرآن إلا من يعلم ذلك، وأن أحداً لا يكون حجة بالقرآن بالرأي فيه والاستحسان.

قال محمد: وسئل عمن يقول: القرآن كله ناسخ وليس فيه منسوخ؟ فقال: القرآن عندنا ناسخ ومنسوخ، قال الله عز وجل: ﴿**مَا نَنْسَخْ**

(١) قد سبق ذكر بعضه.

﴿مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة:١٠٦] يقول لا شريك له: ننسخها فنبدل حكمها أو ننسها بتركها على حالها.

وقال في المتوفى عنها زوجها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[البقرة:٢٤٠] يعني فكانت المرأة إذا توفي زوجها لم تخرج من بيتها سنة ما لم تخرج، ثم نسخ الله ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة:٢٣٤] فنسخت هذه الآية الأولى، وآية الصيام كان في بدو الإسلام من شاء صام شهر رمضان، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يومٍ مسكيناً، ثم نزلت عزيمة الصيام فقال عز وجل: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة:١٨٥] فنسخت هذه الآية الصيام الأول مع آي كثيرة في القرآن، مثل هذا مبين منسوخ.

وسئل محمد عن قوله عز وجل: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد:٣٩]؟ فقال: يمحو المنسوخ ويثبت الناسخ، وعنده أم الكتاب يعني جماعة الكتاب.

قال محمد في (المسائل): أخبرني قاسم بن إبراهيم قال: قرأت مصحف علي -عليه السلام- خطه بيده فهو هذا القرآن الذي في أيدي الناس ليس به زيادة حرف ولا نقصان حرف، إلا أن يكون حرفاً يقرأ(١).

قال محمد: وأخبرني حمزة بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب -صلى الله عليه - قال: قرأت مصحف علي خطه بيده فهو هذا القرآن الذي في أيدي الناس ليس فيه زيادة ولا نقصان، وكان أوله: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[العلق:١].

---

(١) قال الإمام الهادي عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه أنه قال: «قرأت مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه عند عجوز مسنة من ولد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فوجدته مكتوباً أجزاء بخطوط مختلفة، في أسفل جزء منها مكتوب وكتب علي بن أبي طالب، وفي أسفل آخر وكتب عمار بن ياسر، وفي آخر وكتب المقداد، وفي آخر وكتب سلمان الفارسي، وفي آخر وكتب أبو ذر الغفاري، كأنهم تعاونوا على كتابته. قال جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه: فقرأته فإذا هو هذا القرآن الذي في أيدي الناس حرفًا حرفاً، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، غير أن مكان ﴿**قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ**﴾، ﴿**اقْتُلواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ**﴾، وقرأت فيه المعوذتين» مجموع الإمام الهادي ص٤٦٣.

قال محمد في (المسائل): وليس في القرآن زيادة ولا نقصان، ولكن قد ذكر أنه كان فيه فضل تفسير، وذكر أن الأحزاب كانت تقاس بالبقرة وذلك فيما بلغنا، كان تفسيراً وتصديق ذلك أنه كان قرأ القرآن على عهد رسول الله جماعة من أصحابه، وبقوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقرؤه جماعة من المسلمين، فلم يكن فيه زيادة على ما في أيدينا، فهذا يبطل دعوى من ادعى أنه قد كان في القرآن زيادة فذهبت، وكان علي -عليه السلام- يقرأ القرآن ويصلي به بالناس، ويقرئ أصحابه وثقاته، ولم يكن عنده زيادة ولا نقصان، وأما المعوذتان[1]فهما عندنا من القرآن، ثبت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما في الفريضة.

[نفي البداء]

قال محمد في (المسائل): وسئل عن البدا ومن يقول به؟

البداء عندنا صفة من صفات المخلوقين، والبدا أن يرى الإنسان شيئاً فيعمل به أو يحكم به ثم يبدو له إلى غيره فيدع الأول ويعمل أو يحكم بالآخر، وهذا عندنا في الإنسان لأنه لا يعلم ما يحدث قبل أن يحدث، ومن احتج في البدا بقوله عز وجل [١٨٣]: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾[الرعد:٣٩] فإن معناه يمحو المنسوخ ويثبت الناسخ مثل قوله

(١) روي عن عبدالله بن مسعود أنهما ليسا من القرآن.

تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الأنفال:٦٥] فجعل الواحد بعشرة ثم قال لا شريك له: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾[الأنفال:٦٦] فأحب لا شريك له أن يعرفهم نعمته ورفقه بهم ليشكروه على ذلك، وقد علم سبحانه قبل أن يخلق السماوات والأرض أن ذلك كذلك يكون، ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[البقرة:٢٤٠] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة:٢٣٤] وقد علم عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض أن ذلك كذلك يكون، ولا يجوز لأحدٍ أن يقول بدا له من شيء إلى شيء، ومن علم أنه يعيش عشرين سنة فمحال أن يعيش أقل منها أو أكثر، ولا يكون إلا ما سبق في علمه، ولا ينتقل علمه من حال إلى حال.

وأما ما روي عن جعفر بن محمد -عليه السلام- «أن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثين سنة فيجعلها الله ثلاث سنين» فلا يقال إن هذا من البدا، ولكن هذا سبق في علم الله، أن الله حكم لمن وصل رحمه بطول العمر لمن يشاء، وحكم لمن قطع رحمه بقصر

العمر لمن يشاء، ومحال أن يكون إلا ما سبق في علم الله، وعلم الله لا ينتقل من حال إلى حال، قال الله عز وجل: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[يس:١٢] وقال عز وجل: ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾[القمر:٥٣] وقال: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**﴾[القمر:٥٢] فهذا مثبت قبل أن يفعلوه.

وقال محمد في وقت آخر من (المسائل): العمر لا يزيد ولا ينقص، ولكنه إذا وصل رحمه رزق في ثلاث سنين من العمل ما كان يعمل مثله في ثلاث وثلاثين سنة، وإذا قطع رحمه حرم من أعمال البر ما كان يعمل مثله في ثلاث وثلاثين سنة، وهذا معنى قوله: البر زيادة في العمر(١).

[النبوة]:

وإن قال قائل: بأي شيء عرفت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته؟

فقل: عرفته بالآيات التي كان يأتي بها يبهر بها عقول العلماء والناس أجمعين، وبإخباره بالغيوب التي يتتبعها أعداؤه فيجدونها حقاً، وإخباره عن الأمم الماضية السالفة وإثباتها، وأحوال الأمم من أنبيائهم،

(١) وهذا هو تأويل الخبر ونظائره.

فيتعقب ذلك الأحبار وأهل الدراسة للكتب فيجدونها حقاً، وقوله لا شريك له في المنافقين: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾[البقرة:٢٧٣] ﴿**وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ**﴾[محمد:٣٠] كان رجل يظهر الإيمان ويبطن الكفر والنفاق في قلبه، فيخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أخفى في قلبه وأسر في نفسه وإن لم يتكلم، وهذا أمر عظيم من آيات الأنبياء، وبإخباره عن الفتوح التي كان يفتتحها قبل أن يفتتحها، فيجدون ذلك حقاً.

وقوله لعمه العباس حين أسر: ((**أفد نفسك وابن أخيك**)) فقال: ما لي شيء أفدي به نفسي وابن أخي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل**)) -زوجته-، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، والعباس وأم الفضل بمكة، فلم يجد العباس بداً من تصديقه والإقرار بما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما نور الله قلبه، فقال: أشهد أنه ما أطلعك على هذا إلا رب السماوات، ما أطلع عليه أحد إلا أم الفضل، أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله[1]، فهذه من علامات الأنبياء، ومثل هذا لا يحصى من إخباره عن الغيوب والآيات التي لا يأتي أحد بمثلها، وألزم الله جميع الأمم الإقرار بالرسل وتصديقها، وقبول ما جاءت به.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٥ص٣٣٤.

ثم أخبرنا الله في القرآن بقصة محمد صلى الله عليه وآله واسمه ونعته وإلزام قبول ما جاء به، فقال تبارك وتعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح:٢٩] وقال: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[التوبة:١٢٨] وبشارة عيسى به عليهما السلام إذ يقول: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[الصف:٦] وقوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾الآية [الأحزاب:٧] وقوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف:١٥٧] مع آي كثير أنزلها الله تعالى في القرآن بتثبيت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأكيد حقه، ومن عظيم آياته القرآن الذي جاء به من عند رب العالمين، لا يقدر إنس ولا جان على أن يأتوا بمثله ولا بسورة أو بعضها.

[باب الوعد والوعيد]

[القول في الإيمان]:

وقال محمد في (كتاب أحمد)[1]: سألت أحمد بن عيسى عن الإيمان؟ فقال: الإيمان قول وعمل، ثم قال: القول عمل.

وقال الحسن، ومحمد: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقال الحسن أيضاً في رواية ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): والإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا نقول بقول المرجئة إن الإيمان قول بلا عمل.

وقال أحمد: الإيمان المعرفة والإقرار، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[الأعراف:١٧٢] وقوله: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ [لقمان:٢٥].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٧.

قلت: الإيمان يزيد وينقص؟

قال: نعم.

قلت: ما معنى زيادته ونقصانه؟ فذكر الأعمال وزيادة الإيمان بأعمال الطاعة من الصوم، والصلاة، وغيره مما يقرب إلى الله، ونقصانه العمل بالمعصية، وما يباعده من الله عز وجل، وقال بالعون والمن والتوفيق، وشرح الصدر، وشرح فيه شرحاً لم أحفظه، وذكر آية من القرآن.

قال محمد في (المسائل): قال أحمد بن عيسى الإيمان يزيد وينقص، وأصل الإيمان ثابت- يعني الذي تحل به المناكحة والموارثة-.

قال محمد: وهو قول من رأينا من علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، والقاسم بن إبراهيم(١)، وغيرهم.

قال محمد: وحدثني علي بن أحمد، عن أبيه أنه سئل عن الإيمان يزيد وينقص أم هو تام لا ينقص؟

فقال: الإيمان تام في كل الأحوال(١)لا يكون ناقصاً، ولكن يزداد باليقين والإخلاص، على قدر ما يخص بذلك منه، ويزداد بالأعمال

---

(١) قال الإمام القاسم عن الإيمان: «قول وعمل بمنزلة الروح من البدن، العقد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» مسائل القاسم عليه السلام.

والفرائض الواجبة عليه، وهو في كل الأحوال تام لا ينقص، وهو التصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه، والإسلام إقامة ما شرع من شرائع الدين والانقياد له، فهذا معنى الإيمان والإسلام، وهو جملة، ومن الدليل عليه قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[الحجرات:١٤] وذلك لما أظهروا من التصديق، ولم يكن عليه اعتقاد يقين وإخلاص، فكان ذلك غير مقبول عند الله والإسلام ما أقاموا به من شرائع الرب.

وقال محمد في موضع آخر: الإيمان يزيد بأعمال الطاعة من أداء الفرائض والسنن، والنوافل، وينقص بالمعاصي، وركوب ما نهى الله عنه.

قال محمد: سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**لا يقبل الله عز وجل عمل رجل حتى يرضى قوله، ولا يرضى قوله حتى يرضى عمله**))(٢).

---

(١) أصل الإيمان كما سبق وسيأتي والذي من خلاله تحل المناكحة والموارثة.

(٢) مسند الشهاب ج٢ص١٧٠.

قال الحسن، ومحمد: قال الله سبحانه في زيادة الإيمان ونقصانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد:١٧] وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح:٤].

قال الحسن: وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤] وقال: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ إلى قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:١ - ٥] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١] الآية، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ إلى قوله: وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال:٢ - ٤] وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الآية [الحجرات:١٥] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ إلى قوله: بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[الصف:٢ - ٤].

فأخبرنا الله تعالى أنه يمقت الذين يقولون ما لا يفعلون، فلم يرض الله عز وجل بالقول دون الفعل، بل ذكر أنه يمقت من فعل المؤمن القول بلا فعل، وأن الإيمان بالله هو الطاعة، فأعمل الناس بطاعة الله أحبهم إليه، وأشد الناس حباً لله أكثرهم إيماناً بالله، وقال فيما شهد به للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ إلى قوله: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٢ - ٥] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ إلى قوله: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ

الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[المؤمنون:١-١١] وهذا وصف الله للمؤمنين وما شهد لهم به من وراثة الجنة والفردوس، شهد للمؤمنين الموصوفين بهذه الصفة بالفلاح.

وشهد على من خالف هذه الصفات أنهم عادون، وسلخهم من اسم الإيمان فقال: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[التوبة:٦٧] يقول: نسوه أن يطيعوه وأن يذكروه كما أمرهم فنسيهم من ثوابه، والنسيان هاهنا الترك، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتقين المطيعين لله ولرسوله برحمته.

قال الحسن، ومحمد: وقد يكون الرجل مؤمناً حقاً وغيره أكبر إيماناً منه يزداد من المعرفة بالله والعمل بالطاعة، كمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة علي، ومعرفة الحسن والحسين -صلى الله عليهم-، فهؤلاء تفاضل معرفتهم بالله، والعمل والطاعة، وكل مؤمن حقاً.

وسئل الحسن ومحمد عمن يقول ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق**))[1] وإن لم يكمل فيه هذه الخصال فليس بمؤمن؟

فقالا: الجواب في ذلك على ما وصفنا من المسألة التي قبلها لا يكون ناقص الإيمان إلا بترك أداء واجب أو ركوب ذنب أوجب الله فيه الوعيد، والله عز وجل لا يخلف الميعاد، ولكن قد يتفاضل الإيمان ويزيد وينقص على حسب ما شرحنا في المسألة الأولى من المعرفة والزيادة في أعمال الطاعة.

[حقيقة المؤمن]:

وقال الحسن في رواية ابن صباح عنه وهو قول محمد: ويقول إنه من آمن بالله واليوم الآخر وبالرسول، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وصام رمضان، وحج البيت، واغتسل من الجنابة، وأتى بالفرائض كلها، واجتنب ما نهى الله عنه في القرآن من الكبائر، ووالا أولياء الله، وعادا أعداء الله فهو عندنا مؤمن حقاً من أهل الجنة، وهو ولي الله.

---

(١) سنن النسائي ج٨ص١١٠.

قال محمد: ولا تجب الولاية من الله إلا بأداء جميع ما افترض الله عليه من فرائض الدين التي يكون بها مع المتقين.

وسئل الحسن، ومحمد عمن يقول أنا مؤمن حقاً، ومن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، ومن يقول أنا مؤمن لا شك في إيماني، ومن يقول: أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله؟

فقال محمد وهو معنى قول الحسن: كل ذلك عندنا صواب كإيمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وحسن وحسين-صلى الله عليهم- وكلهم مؤمن حقاً، وبعضهم أعلى معرفة من بعض، قال الله: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[الإسراء:٥٥] وكذلك المؤمن قد يكون مؤمناً حقاً وغيره أكمل إيماناً منه.

قال الحسن: فمن قال أنا مؤمن حقاً فقد زكى نفسه وشرطها شديد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي رجلاً[1] فقال: ((**كيف أصبحت يا جار**))؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال رسول الله

(١) اسمه حارث بن مالك الأنصاري.

صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إن لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك**))؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فاظمأت نهاري وأسهرت ليلي، وكأني بعرش ربي بارز، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتزاورون، وكأني باهل النار يعذبون، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يا جار عرفت فألزم**))[1].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي في سفره قوماً فقال: ((**من القوم**))؟ فقالوا: مؤمنون، فقال: ((**وما حقيقة إيمانكم**))؟ قالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**حلماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء، إن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون**))[2].

قال محمد: ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس استثناؤه لشك، ولكن يقول أنا مؤمن ولي ذنوب.

---

(١) مسند البزار ج١٣ ص٣٣٣.

(٢) أسد الغابة ج٢ ص٥٩٣.

قال الحسن، ومحمد: ومن قال أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد صدق عن نفسه.

قال الحسن: إلا أن الإيمان قول وعمل فإذا وافق القول العمل بالطاعة فهو مؤمن حقاً، ومن أدى ما افترض الله عليه واجتنب ما نهى الله عنه فلا يقول أنا مستوجب للجنة جزماً؛ لأنه لا يدري بأي شيء يختم عمله، ولكن يقول إن مت على ذلك فأنا مؤمن مستحق للجنة.

[حقيقة الإسلام]:

وقال الحسن: والإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والولاية لعلي، والبراءة من عدوه، وكمال الإسلام والإيمان بالعمل بما دل عليه القرآن من الحلال والحرام.

قال الحسن: ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لزمه اسم الإيمان.

[الإسلام والإيمان]:

وقال محمد في (المسائل) وهو معنى قول الحسن: والإيمان والإسلام معنيان مفترقان في اللفظ، يعودان إلى معنى واحد، لا يقبل من العبد واحد منهما دون الآخر، لا يكون مسلماً حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[آل عمران:٨٥] وقال: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**﴾[آل عمران:١٩] وقال: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الذاريات: ٣٦] وقال إسماعيل وإبراهيم ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾[البقرة:١٢٨] وقال: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾[الحج:٧٨] يقول ملة أبيكم إبراهيم الزموها، فالإيمان يزيد وينقص، والأصل ثابت، وهو الذي تحل به المناكحة والموارثة، وهو المعرفة والإقرار بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وما جاءت به النبيون، قال الله: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى**﴾[البقرة:١٣٦] الآية، ثم قال سبحانه: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا**﴾[البقرة:١٣٧].

فهذا أصل الإيمان الذي تحل به المناكحة والموارثة، وما يوجب الولاية من الله عز وجل، فإذا اتبع هذا الإيمان بأداء جميع ما افترض الله عليه واجتنب ما نهى الله عنه فأصل الإيمان ثابت، وزيادته بأعمال الطاعات، فإن

لم يؤد جميع ما فرض الله عليه فإيمانه غير مقبول منه، وإن كان قد حقن به دمه ووجب له به حكم الموارثة والمناكحة، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه أنه قال: ((**من أتى بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة ولم يؤد الزكاة لم يقبل الله منه شهادته وصلاته، ومن أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يصم أشهر رمضان من غير علة ولا عذر لم يقبل الله شهادته ولا صلاته ولا زكاته، ومن أتى بهذه الأربع الفرائض وأدركته فريضة الحج فلم يحج من غير علة ولا عذر لم يقبل الله منه ما أدى من الفرائض**)).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إن الله لا يقبل فرائضه بعضها دون بعض**))، وإنما يكمل الإيمان بما يثبت في القلب من معرفة الله، والإيمان بما أمر الله أن يؤمن به، والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله.

قال: وسئل عن الإيمان والإسلام ما هما فقال: بلغنا أن جبريل -عليه السلام- أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة لم يعرفه فيها فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**شهادة ألا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، والغسل من الجنابة**)).

فقال: يار سول الله، فإذا فعلت هذه الخصال فأنا مسلم؟

قال: ((**نعم**)).

قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله: ما الإيمان؟

قال: ((**الإيمان إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والموت والبعث بعد الموت، والجنة والنار، والقدر خيره وشره وحلوه ومره**)).

قال: يا رسول الله فإذا فعلت هذه الخصال فأنا مؤمن؟

قال: ((**نعم**)).

قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟

قال: ((**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)).

قال: يا رسول الله فإذا فعلت هذه الخصال فأنا محسن؟

قال: ((**نعم**)).

قال: صدقت، ثم مضى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليَّ بالرجل فطلبناه فلم نلحقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**هذا جبريل أتاكم يخبركم بمعالم دينكم**))[1].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص١٧٠.

[القول في أهل الكبائر]:

قال الحسن ومحمد: ومن عمل شيئاً من الكبائر مثل الزنى، وشرب الخمر والسرقة، وأكل مال اليتيم، واليمين الفاجرة، وعقوق الوالدين وما أشبه ذلك، ولم يحل حلال ما في القرآن فيتبعه، ويحرم حرامه فيجتنبه فإنه فاسق لا تحل ولايته وإن كان مؤمناً به في الجملة سمعنا أنه ما آمن بالقرآن من لم يحل حلاله ولم يحرم حرامه، وبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يزني الزاني وهو مؤمن**))[1]ومن عمل بالصغائر من الذنوب فإن ذلك لا يخرجه من حد الإيمان بقوله جل وعز: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[النساء:٣١].

وإذا كان لرجل ولد أو والد أو جار يعلم أنه ترك الصلاة المفروضة متعمداً من غير علة ولا عذر، فينبغي له أن يعظه ويأمره، فإن لم يفعل فليبرأ منه، وكذلك كل قريب وبعيد، وأما إذا كان يصلي وهو جاهل بحدودها ولا يحسن القراءة فليرفق به، وليعلمه حدود الصلاة وما فيها، وليس كالتارك لها المستخف المتعمد لتركها، وليس تجب البراءة من هذا، كما تجب البراءة من المستحل التارك.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٠٢.

وقال الحسن، ومحمد: ومن كان عليه حقوق للناس ومظالم، فعليه أن يؤدي ما استطاع من حقه إلى أهله، ويخرج من كل مظلمة لا يجزيه غير ذلك، وما لم يستطع من أداء حق ومظلمة فليتب إلى الله، وليستحل من أمكنه من أهلها، ونرجو أن تكون صلاته وأعمال البر مقبولة إن شاء الله.

قال محمد في (كتاب أحمد): سألت أحمد بن عيسى عمن يعمل بمعصية كبيرة مات عليها ولم يتب منها؟

قال: كافر.

قلت: في النار؟

قال: في النار.

قال محمد: قال أحمد من عمل بالصغائر من الذنوب دون الكبائر وقال: هذه مغفورة لي لقوله: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾[النساء:٣١] ولم يتب منها ويستغفر فهي كبائر وهذا مستكبر، وإنما قوله: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾ للهفوة، وللذي يعمل بالشيء ثم يستغفر ويرجع عنه.

وقال محمد في (الجملة): سمعت القاسم بن إبراهيم يقول نحو ذلك، وقال: من عصى الله فقد استكبر على الله، وقال: ليس يعصى الله حتى يستكبر على الله.

[نفي الإرجاء]:

قال محمد: وسألت عن الإرجاء فإن فرقة من أهل البدع منهم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة تخلفوا عن نصرة أمير المؤمنين، وضيعوا ما فرض الله عليهم من نصرة إمامهم، وأرجوا معاونته على الفئة الباغية، وخالفوا قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[الحجرات:٩] فلاهم حضروا كما أمرهم الله حتى يصلحوا بين المؤمنين ويقاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، فهؤلاء النفر ومن كان قبلهم ممن تقدم على علي صلى الله عليه وخالف أمره أئمة المرجئة، وإن زعموا هم[١] ومن اتبعهم لما لزمهم من الحجة في تضييع الفرض أن الإيمان قول بلا عمل، وأن إمامة الفجار جائزة، وأن قتال أئمة الكفر ومن ينتحل الإسلام عنهم ساقطة، لما افترض الله عليهم، حتى توافت بهم البدع والضلالة إلى أن زعموا أن الرجل من أهل الإسلام لو قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، ونكح أمه وابنته وأخته، وسعى في الأرض فساداً، وتعدى حدود الله لكان مؤمناً على إيمان جبريل وميكائيل، وهذا القول من شر ما انتحل المبطلون، وهم بهذه المقالة شركا في دم كل مؤمن قتل على وجه الأرض، وذلك لأنه انتهى الخبر إلينا عن علي -صلى

---

(١) أي المرجئة لا من تجعلها المرجئة أئمة لها؛ لأن ذلك لم ينقل عنهم.

الله عليه- أنه قال: «ألا إن عاقر ناقة ثمود كان واحداً وشرَّكهُ الباقون في قتلها بالنية فنزل بهم العذاب جميعاً، قال الله تعالى: ﴿**فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**﴾[القمر:٢٩] ﴿**فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾[الشمس:١٥] ألا ومن زعم أن قاتلي مؤمن فقد قتلني، فعلى الأولين منهم والآخرين غضب الله ولعنته»[١].

[الشفاعة]:

وقال الحسن بن يحيى: وسألت عن قوله: ﴿**إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء:٤٨]؟ فإن الله عز وجل قد أخبرنا بمشيئته[٢] فقال: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[النساء:٣١] وقال: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[طه:٨٢] وقال: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ**

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله تعالى بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾[الشعراء:١٥٧]» شرح نهج البلاغة ج١٠ص٢٦١.

(٢) قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: «الذين يشاء لهم المغفرة هم الذين أنزل فيهم: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[النساء:٣١]» كتاب الإيمان.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَّ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُّ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٥].

قال: وسألت عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن هي؟ فإن شفاعته لأهل بيته ولمن ودهم، وليس لأحدٍ حادَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فيها نصيب.

قال محمد في كتاب (الجملة): من تم منه الإقرار وأساء فيما سوى ذلك من الأعمال فما كان من دون الكبائر فقد وعده الله المغفرة لقوله عز وجل: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾**[النساء:٣١] وما كان من الكبائر فهو عندهم في الدنيا على معنى ما قال جل وعز: **﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾**[الأحزاب:٢٤] وذلك في الدنيا أن يميته على نفاقه فيستوجب العذاب، أو يمن عليه بقوله: **﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾**[التوبة:١١٨] فذلك في الدنيا يمن عليه بتوبة فيستوجب بها المغفرة.

وقال محمد في (المسائل): ومن يترك فريضة من فرائض الله متعمداً من غير علة مثل الصلاة والزكاة، والحج وصيام شهر رمضان، والغسل من الجنابة وما أشبه ذلك من الفرائض، ثم مات مصراً على ذلك غير تائب منه فهو عندنا في النار.

قال: والمؤمن المذنب[1] لله سبحانه فيه المشيئة إن غفر له فبفضل وإن عذب فبعدل.

وقال في (المسائل): وسئل عن قوله: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ**﴾[النجم:٣٢]؟

فقال: كبائر الإثم كلها وعد الله عليه النار الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والزنى وشرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس التي يحلف بها الرجل وهو يعلم أنه فيها كاذب، والفرار من الزحف، وما أشبه ذلك من الكبائر التي جعل الله فيها الوعيد، قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾[النساء:٤٨] وقال: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾[النساء:٩٣] وقال في آكل مال اليتيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[النساء:١٠] وقال في اليمين الغموس: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهَّ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ**﴾[آل عمران:٧٧] يقول: لا نصيب لهم في الآخرة من رحمة الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا يشرب الخمر وهومؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني وهو مؤمن**))

---

(١) بصغائر وسيأتي تأكيد ذلك.

فبرأهم الله من اسم الإيمان، ومن لم يكن مؤمناً لم يدخل الجنة إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.

فأما اللمم فهو ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، فأما حد الآخرة فهو الشرك بالله ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾[النساء:٤٨].

وأما حد الدنيا فهو الحدود التي سميناها حد الزاني الرجم، وقطع السارق، وحد القاذف، وشارب الخمر، وما كان من نحو ذلك من الحدود التي يقيمها الإمام في الدنيا، وقال الله عز وجل: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء:٤٨] فشاء أن يغفر اللمم لمن اجتنب الكبائر وهو الرجل يلم بالذنب على الغفلة والهفوة غير مصر، ولا مستخف فيتبع ذلك الندم والاستغفار.

[نفي الخروج من النار]:

قال محمد في (كتاب أحمد): قلت لأحمد بن عيسى يخرج من النار أحد ممن يدخلها؟

فقال: هيهات، وأنى له الخروج، ونعوذ بالله من النار، وقال: هو في القرآن وذكر آيات من القرآن منها: ﴿**لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا**﴾[الجاثية:٣٥] وقال: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾[النساء:١٨] وذكر أشياء لم أحفظها.

وقال الحسن بن يحيى: وسألت عمن دخل النار أيخرجه الله من النار أم لا، فالجواب أنا نشهد على أهل النار كما يشهد الله عليهم، فمن قال الله خالداً فيها شهدنا عليه بما شهد الله عليه، وقال الله عز وجل: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[هود: ١٠٨] يعني غير مقطوع، فنحن نشهد عليهم بما شهد الله عليهم في كتابه من الخلود فيها أبداً، والمشيئة مردودة إلى الله، كما قال إنه فعال لما يريد.

وقال محمد: وسئل عمن يقول من دخل النار لم يخرج منها وإن كان ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال: هذا مما يتقارع العلماء فيه، وفي الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مما يسعنا أن نرد علمه إلى الله عز وجل[1]، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾[الشورى:١٠].

(١) قد سبق قوله خلافه وأصحاب الكبائر يشهدون ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال الحسن: وسئل عن الوعد والوعيد فقال: الوعد لأهل الجنة، والوعيد لأهل النار، والله عز وجل لا يخلف الميعاد، وحقاً عليه أن يصدق وعده ووعيده، وأن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الله سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا**﴾[النساء:١٢٢] وقال: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾[النساء:١٤] وقال: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا**﴾[الجن:٢٤] وقال: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[النساء:٩٣].

[عذاب القبر]:

قال محمد: سألت أحمد بن عيسى عن منكر ونكير، فقال: لست أدفعه، وقال: الفتانين، وسألت القاسم بن إبراهيم عن منكر ونكير فقال: إن الحديث فيهما كثير، وإن الله سبحانه يقدر عليه كما يقدر على غيره[1].

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٢ص٤٤١.

وقال الحسن بن يحيى: وسئل عن منكر ونكير وما يسئل عنه العبد فقال: سمعنا عن النبي، وعن علي - صلى الله عليهما- أنهما قالا: ((**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ويسئل عن خمس: من ربك؟ ومن نبيك وما دينك وما إمامك ومن وليك؟ فيقول المؤمن: الله ربي، ومحمد نبيي، والقرآن إمامي، والإسلام ديني، وعلي وليي**))[1].

وقال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): منكر ونكير حق، ومن لم يقر بمنكر ونكير جهلاً منه فينبغي له أن يتعلم من العلماء، وإن كان لا يقر به إنكاراً لذلك ورداً له فقد ثبت لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أثبت منكراً ونكيراً وعذاب القبر، وأجمع[2]على ذلك علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم، وقد ثبت لنا عن علي -صلى الله عليه- أنه قال: ((**القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**))[3]، فهو كما روي عنه.

---

(١) في أغلب المصادر من دون (إمامك) منها الآثار لأبي يوسف ص٢٠٣.

(٢) دعوى الإجماع تتعارض مع ما سبق.

(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي عن علي -صلى الله عليه- أنه قال: «حرام على نفس تخرج من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها»(١).

قال محمد: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي، وعن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وزيد بن علي-عليهم السلام- وغيرهم من علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منكر ونكير أحاديث كثيرة صحيحة، وهو عندنا كما قالوا.

[الصراط والميزان]:

قال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): الصراط والميزان عندنا حق، ومن لم يقر بذلك جهلاً منه فينبغي له أن يتعلم ذلك من العلماء، وإن كان لا يقر بذلك إنكاراً له ورداً له، فإن الصراط والميزان ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر المتسق.

قال محمد: وقال الله تعالى في كتابه: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[الأنبياء:٤٧] فذلك عندنا حق على معنى ما قال الله سبحانه لسنا نكيف ذلك، ولن تسأل العباد إن شاء الله عن تكييف ما لم يكيفه الله، غير

---

(١) مصنف ابن أبي شيبه ج٧ص٢٤٢.

أنا نؤمن بذلك على معنى ما قال الله، ونقول ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[الحشر:٧] ولسنا نكيف ما لم يكيف لنا.

[القول في الرجعة]:

قال محمد في (كتاب أحمد)(١): سألت أحمد بن عيسى عن الرجعة فقال: باطل، قد ذكرت لأبي جعفر -عليه السلام- فقال: قد تزوج الحسين -عليه السلام- بعض نساء الحسن -صلى الله عليهما- فإذا رجعوا لمن تكون منهما للأول أم للآخر.

قال محمد: فقلت له تصلي خلف من يقول بهذا؟ فقال: لا(٢).

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٧.

(٢) قال الإمام المنصور عبدالله بن حمزة: «وأمَّا ما ذهبوا إليه من الرجعة فمما لا دليل عليه ولا يجوز لمسلمٍ اعتقاده ولا يجدون عليه دليلاً يوصل إلى العلم، وأما الدليل على بطلانه فلأن المعلوم من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من مات فميعاده يوم البعث ولا حياة قبله إلاَّ ما وردت به الآثار في عذاب القبر فحكم ذلك حكم الآخرة، فإذاً المعلوم ضرورة من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلاف ما ذهب إليه القوم في هذه المسئلة، فتلحق هذه المسئلة بالكفريات ويبعد أن يكون خلافاً بين أهل الإسلام» العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين.

قال محمد: وسألت القاسم بن إبراهيم عن الرجعة فلم يثبتها، ولم يذكر أنه أدرك أحداً من أهل بيته يثبتها[1].

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن قول من قال بالرجعة باطل، وأنه يتقول ذلك على من مضى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كانت كذلك ما اقتسمت المواريث، ولا نكح النساء إذا مات عنهن أزواجهن.

[خلق الجنة والنار]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[2]: سألت أحمد عن الجنة والنار قلت: أخلقتا؟

قال: هما مخلوقتان، قد خلقهما الله تعالى، وأسكن آدم الجنة، وأخرج إبليس منها.

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٧.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٤.

قال السيد الشريف: حدثنا محمد بن الحسين بن غزال، قال حدثنا علي بن عبدالجبار، قال حدثنا محمد بن منصور المقري، قال: سألت أحمد بن عيسى قلت: خلقت الجنة والنار؟

قال: إي والله لقد خلقت الجنة، وأسكن فيها آدم وأخرج منها إبليس.

قال الحسن، ومحمد: الجنة والنار مخلوقتان قد خلقهما الله، اتصل بنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علماء أهل البيت -عليهم السلام-.

قال محمد: وهذا عندنا إجماع العلماء، وإنما يدفع ذلك من لا يعلم.

قال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في (المسائل): ومن قال إن الله لم يخلق الجنة والنار، ولكن يخلقهما بعد[1]، فإنا نقول إن هذا القول تكلف من قائله، وجرأة وقذف بالغيب وبدعة.

---

(١) القول بعدم خلق الجنة والنار هو قول الإمام القاسم، والهادي، وقاضي القضاة، وأبو هاشم، وضرار بن عمرو، ومنذر بن سعيد البلوطي، والفوطي، والإمام أحمد بن سليمان، ورواه أبو حيان عن كثير من المعتزلة والجهمية، ، قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة: «إن جنة الخلد ونار الخلد لم يخلقا؛ لأنهما لو قد خلقا لفنيا ولا يجوز عليهما الفناء» المجموع المنصوري الجزء الثاني (القسم الأول).

قال الحسن: وقد ذكر الله الجنة جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان، وجنات الفردوس، وجنة المأوى، وجنة عدن، وجنة عرضها السماوت الأوض أعدت للمتقين، فأخبر أنه قد أعدها للمتقين، وقال لآدم: ﴿**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾[البقرة:٣٥]، وقال: ﴿**اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا**﴾[طه:١٢٣] وقال: ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾[النجم:١٥] وقد أجمع المسلمون أن سدرة المنتهى في الجنة التي أُعدت للمتقين، وقال في النار: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾[الكهف:٢٩] وقال: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:٢٤] وقال: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾[غافر:٤٦] وقال: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾[الحجر:٤٤] فقد دل على أنه قد خلقها وكونها، إذ قال عرضها كذا وفيها كذا، وقول الله لا يسقط ولا يختلف، وذلك لأنه مقت من قول العباد أن يقولوا ما لا يفعلون، والآثار المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل الجنة حيث أُسري به إلى السماء، وأُري النار ومن فيها، فنعت ما فيها، فذلك دليل على إبطال قولهم، ولا سبيل إلى ترك التنزيل بقول التأويل المبطل مع أخبار كثيرة مشهورة متسق بها الخبر، أثبتها العلماء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إثبات خلق الجنة والنار.

[الترحم على مستور الحال]:

قال محمد: قلت لأحمد الرجل يكون مستوراً ولا يعلم منه موافقة ولا غير ذلك يموت يترحم عليه؟

قال: نعم.

[باب الإمامة]

[ولاية الإمام علي عليه السلام]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[1]: سئل أحمد بن عيسى عن الولاية أفرض هي كسائر الفرائض؟

قال: نعم؛ لنداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها.

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي -صلى الله عليه - يوم غدير خم: ((**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**))[2]؟

قال: يقول هو في كل حالاته لكم ولي، لا يكون في حال براءة أبداً، ويمكن ذلك في غيره كائناً من كان، فنصبه لهم علماً عند الاختلاف والفرقة.

قال: فإن جهل الولاية رجل فلم يتوله لم تنقطع بذلك عصمته، وإن تبرأ وقد علم انقطعت منا، وكان منا في براءة مما دان به وأنكر من فرض الولاية، لا نراه يخرج بها من حد المناكحة والموارثة، وغير ذلك مما تجري به أحكام المسلمين بينهم بعضهم في بعض، على مثل من وافقنا

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤٤٤.

بالولاية وإيجابها في المناكحة والموارثة، غير أن هذا الموافق موافق معتصم بما قد اعتصمنا به من الولاية، ونحن من الآخر في حد براءة من فعله، وقوله على مثل هذه الجهة لا على مثل البراءة من أهل الشرك واليهود والنصارى والمجوس، فهذا وجه البراءة عندنا ممن خالفنا(١).

وقال الحسن بن يحيى: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، وولاية علي بن أبي طالب، والبراءة من عدوه، والإمام المفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب-صلى الله عليه-(٢).

قال الحسن: كان علي فريضة من فرائض الله، وَعَلَماً نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله تعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:٥٩] وافترض الله في الكتاب طاعته وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر، وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[النساء:٨٣]

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٠-٣١١.

(٢) سبق ذكره في تعريف الإسلام.

وقال: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[النحل:٩٠] وقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُّ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٦٨] ثم دل على أن إمام المؤمنين وسيدهم علي بن أبي طالب، فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُّ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧] فلما نزل جبريل بهذه الآية وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه أخذ بيد علي -صلى الله عليه - فأقامه، وأبان ولايته على كل مسلم، فرفع يده حتى رأى الناس بياض إبطيهما، وذلك في آخر عمره حين رجع من حجة الوداع متوجهاً إلى المدينة ونادى الصلاة جامعة، ولم يقل الصلاة جامعة في شيء من الفرائض إلا يوم غدير خم، ثم قال: ((**أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم -يعيد ذلك ثلاثاً، يؤكد عليهم الطاعة ويزيدهم في شرح البيان-، قالوا بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**)) فأوجب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الطاعة عليهم ما أوجب لنفسه، وجعل عدوه عدوه ووليه وليه، وجعله علماً لولاية الله يعرف به أولياء الله من أعدائه، فوجب لعلي على الناس ما وجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية والنصر، فمن تولاه وأطاعه فهو لله ولي، ومن عاداه فهو لله عدو، ومن عصاه وخالفه ووضع من عظيم حقه ما رفع الله فقد عصى الله ورسوله، ثم أنزل الله في علي -عليه السلام-: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] فدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علي بصفة، فوجب على أهل الإسلام معرفة علي، وولايته وطاعته بإمامته، وأن يكون متبوعاً غير تابع، بالأخبار المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غير تواطئ.

وقال الحسن في قول الله سبحانه: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[طه:٨٢] قال: اهتدى إلى ولاية علي وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال في قوله: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾[الصافات:٢٤] قال: عن ولاية علي -صلى الله عليه-.

وقال محمد: وسئل عن ولاية علي أمير المؤمنين في أنه افترضها الله عز وجل على الأمة فقال: سمعنا إن أمير المؤمنين -صلى الله عليه- تصدق بخاتمه على مسكين وهو راكع في صلاته فنزلت: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[المائدة:٥٥].

وسئل محمد عمن آمن بالله ورسوله وعمل ولم يعرف الولاية لعلي -صلى الله عليه- ولا لغيره، ومات على ذلك، فقال: إن كان هذا الرجل لم يبلغه خبر أمير المؤمنين، وما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه،

وفي غيره ممن تجب عليه ولايته فلا شيء عليه، وقد مات مسلماً، وإن كان ترك ذلك عداوة أو معاندة فقد مات ضالاً.

قال محمد: حدثني علي بن أحمد بن عيسى، عن أبيه أنه سئل لما صارت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلاحه عند علي دون العباس، والعباس أقرب رحماً من علي؟ فقال: لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**من يقضي عني عداتي وديوني وتكون له تركتي**))[1] فقبضها علي صلى الله عليه وسلم فمن هذا الوجه صارت له تركت النبي صلى الله عليه وآله دون العباس.

وقال أحمد فيما حدثني أبي، عن علي بن شقير، عن ابن حاتم، عن محمد بن مروان، عن إبراهيم بن الحكم، عن سارية بن أبي سارية، عنه قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أولى الناس به وأفضلهم عند الله وعنده وأعلم الناس من بعده علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-، وقال الحسن بن يحيى: أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي -صلى الله عليه- أول ذلك الخبر المشهور، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله سبحانه لما أمر نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين، جمع بني عبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً وإن منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فأمر علياً

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٠.

-عليه السلام- فعمل لهم طعاماً من فخذ شاة وصاعاً من طعام، ثم جمعهم فمسح بيده على الثريد وسمى الله ثم قال لهم: ((**كلوا**)) فأكلوا حتى شبعوا، وما أثروا في ذلك الطعام إلا يسيرا، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً، أدعوكم إلى الإسلام إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، أيكم يجيبني إلى الإسلام على أن يكون أخي ووزيري، ووصيي ووارثي، وخليفتي في أهلي وقومي، يقضي ديني وينجز موعدي**)) فقام إليه علي صلى الله عليه وهو يومئذٍ أصغرهم سناً فأجابه إلى ما دعا إليه، فتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فيه ومسح بيده على وجهه، ودعا له وضمه إليه، فقال أبو لهب: بئس ما حبوت ابن عمك إن أجابك إلى ما دعوته إليه من بينهم أن ملأت فمه بصاقاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**بل ملأته فهماً وحكماً وعلما**)) فهذا أول ولاية علي صلى الله عليه وآله، فاستحق بذلك الوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والخصال التي شرطها رسول الله له دون بني عبد المطلب، ولما حضرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا بسيفه ورمحه وسلاحه وبغلته وناقته، وكل ما كان له حتى عصابته كان يعتصب بها في الحرب على الدرع فدفع إليه جميع ما كان يملك، ثم دفع إليه خاتمه، وبنو عبد المطلب والمهاجرون والأنصار حضور.

ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة لعلي دون الناس أنه علمه ألف باب، كل باب منها يفتح ألف باب، ودعا الله له أن يجعل أذنه الواعية، ودعا له حيث وجهه إلى اليمن أن يهدي قلبه ويثبت لسانه، فقال علي صلى الله عليه: والله ما شككت في قضاء بين اثنين بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعلمه بما هو كائن إلى يوم القيامة، والدليل على ذلك قول علي -صلى الله عليه -: لا تسألوني عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة فيما بينكم وبين الساعة إلا أخبرتكم بناعقها وقائدها وسائقها، فهذه الوصايا الخاصة لعلي -صلى الله عليه-.

وقال محمد في (المسائل): ثبت عندنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي -عليه السلام- وهو إجماع، فأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي-عليه السلام-، وثبت لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي**)).

قال محمد في (كتاب أحمد بن عيسى)[1]: قال أحمد بن عيسى نتولى أمير المؤمنين في ظاهر الأمر وباطنه، ونوجب له العصمة وليس ذلك لغيره

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١١.

من الأمة، ولو أن رجلاً تبرأ منه لشيء من أعماله، أو ترك ولايته لشيء منها تبرأنا منه، ولو أن رجلاً قال: أنا أتولى رجلاً من المسلمين لظاهر عمله وأموره وأتبرأ منه لشيء قد اطلعت عليه لشيء من باطن أمره، لم يجب علينا البراة ممن قال هذا، ولكنا نقول إنا نتولاه على ما ظهر من أعماله وأفعاله، وأنت أعلم ما تقول فيه، ولو قال أتبرأ من علي لوجهٍ من الوجوه لأعماله وأفعاله وغير ذلك، قلنا له قد تبرأت ممن أمر الله بولايته، وقد أخبرنا بعصمته وتطهيره على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وجبت البراءة منك، وليس ذلك لغير علي -صلى الله عليه-.

قال محمد: وسمعت أحمد بن عيسى يقول: وذكر علياً وحسناً وحسيناً فقال: لا يجوز عليهم حكم، قلت: مثل أي شيء؟

قال: لا تقبل عليهم دعوى.

قلت: بمثل أي شيء؟

قال: ما لا يجوز في دين، لو أن مدعياً ادعى عليهم سرقاً، أو ما يشبه ذلك لم تقبل عليهم دعواه، وإن أقام على ذلك بينة وإلا فسد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم-يعني قوله- ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا**)).

وقال محمد: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: سمعت أحمد بن عيسى وسئل هل ثبت لك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**إن علياً معصوم لا يضل أبداً**))؟

قال: نعم، فقيل له: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في غيره؟ قال: نعم، في الحسن والحسين، فقيل له: هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إنهما سيدا شباب أهل الجنة**)) قال: ليس بهذا تثبت العصمة، ولكن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**أنا حرب لمن حاربتما، سلم لمن سالمتما**)) فقيل له: قال ذلك لأحدٍ غيرهما؟ قال: لا، إلا المنتظر المهدي.

قال إسماعيل: وسمعته وسئل عن رجل تجوز شهادته وحده، فقال: لا إلا علياً والحسن والحسين، فقيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنهم معصومون.

قال محمد في (كتاب أحمد)[1]: حدثني علي بن أحمد بن عيسى، عن أبيه أن رجلاً سأل أمير المؤمنين فقال له: ما نسمي أهل حربنا؟ فقال أمير المؤمنين: نسميهم بما سماهم الله به، يقول الله عز وجل: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** إلى قوله:

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٨.

وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣] فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا.

قال محمد: وسئل أحمد بن عيسى أكان أمير المؤمنين في براءة من أهل حربه أو ولاية؟ فقال: لا تكون براءة أكثر من استحلاله الدماء والقتل هو وشيعته، كانوا في براءة من أهل حربه(١).

قال أحمد فيما حدثنا علي بن محمد الشيباني، عن محمد بن محمد بن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: ذكرت لأبي عبد الله أمر علي -صلى الله عليه- ومن تقدمه فذكر منزلة علي -عليه السلام-، وما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القول وتقدمته إياه ((**ومن كنت مولاه فعلي مولاه**)) وقوله: ((**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**)) وغير ذلك.

قال أحمد: وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إن تولوا علياً ولن تفعلوا تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم**)).

وروى ابن عمرويه، عن محمد بن منصور، عن أحمد بن عيسى أنه قال: ليس يخلو أن يكون القوم سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ص٣٠٩.

ما قال في علي فعاندوا، أو لم يسمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتأولوا فلم يصيبوا.

وقال أحمد فيما حدثنا محمد بن جعفر التميمي، عن علي بن عمرو، عن محمد عنه: الناس فريقان، فريق قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضى ولم يستخلف أحداً، وجعل للمسلمين أن يختاروا لأنفسهم فاختاروا أبا بكر، وفريق قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف علياً وجعله خليفة وإماماً من بعده، وكل فرقة مدعية ليس لها بينة عدول من غيرها على ما ادعت، وأجمع الفريقان جميعاً على أنه لابد للناس من والٍ، إمام عدل يعمل فيهم بالكتاب والسنة، يجمعهم عليه ويصلي بهم ويقيم لهم أعيادهم، ويأخذ لمظلومهم من ظالمهم، ويقوي ضعيفهم، ويقيم حدود الله فيهم، ويجبي زكاتهم، ويعطيها فقرائهم، ويجبي فيئهم ويقسمه بينهم، وكان الفرض عليهم أن يضعوا كتاب الله بين أيديهم، ويجمعوا عليه علماؤهم وفقهاؤهم، ويعملوا به ويمضوا لما يأمرهم به القرآن، وليس للأمة أن يؤثروا رجلاً فيولوه ويجعلوه إماماً قبل أن ينظروا في الكتاب والسنة، فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله ولوه عليهم لفضله عليهم، وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله كانت لهم الشورى بما وافق الكتاب والسنة، والكتاب يدل على أن لله خيرة وصفوة، وحبوة من خلقه، وعلى أن خيرته من خلقه بعد الأنبياء المتقون، لقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ**

﴿أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣] وخيرة الله من المتقين الخاشون، لقوله: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء:٤٩] والخاشون هم العلماء، لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨] والعلماء أفضل المؤمنين، لقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:٩] والعلماء أعمل الناس بالعدل، وأعمل الناس بالعدل أدل الناس على العدل واهداهم إلى الحق، لقوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف:١٨١] وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾[يونس:٣٥] وخيرة الله من العلماء المجاهدون لقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[النساء:٩٥] إلى آخر القصة، وخيرته من المجاهدين السابقون إلى الجهاد لقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[الحديد: ١٠] الآية، وخيرته من السابقين البدريون، وخيرته من البدريين أكثرهم عملاً في الجهاد، وخيرة الله من البدريين علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-؛ لأنه كان أكثرهم عملاً في الجهاد في سبيل الله، وأكثرهم ضرباً، وقتلاً وأسراً ومبارزة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبذلهم لمهجة نفسه، وكان خير هذه الأمة وأتقاها وأخشاها، وأعلمها بالسنة وأدلها على العدل، وأهداها إلى الحق، وأقدمها هجرة، وأكثرها عملاً في الجهاد، وأحق الأمة بالإمامة، وأن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، محكوماً

عليه لفضله في كتاب الله، أجمع على ذلك علماء الأمة، إلا من دفع ذلك بعد بيان ومعرفة.

قال محمد: سئل أحمد بن عيسى عن أمر عثمان فقال: ما في أمره شبهة على ذي عقل وعلم، والدليل على ذلك أن أمير المؤمنين لم يقد منه، ولم يده من بيت المال، ولو لزمه ذلك ما تركه لشيء، وقال: لا تعد، والأمر في عثمان أن يكون على واحدة من ثلاثة أوجه، إن كان قتل بحق فلا دية له ولا قود على قاتله، وإن كان قتل مظلوماً وقاتله لا يعرف فالدية من بيت المال، وإن كان قتل مظلوماً وقاتله معروف اقتيد به[1].

قال محمد في (كتاب أحمد)[2]: سألت القاسم بن إبراهيم عن إمامة علي -صلى الله عليه- كيف كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: بالدلالة والإيماء.

وقال الحسن بن يحيى: الإمام المفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-، ومن لم يعتقد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمامة علي لم يقبل الله له صلاة، ولا زكاة،

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٢.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٣.

ولا حجاً، ولا صوماً، ولا شيئاً من أعمال البر، وبعده الحسن والحسين -صلى الله عليهم-، ومن لم يؤمن بأن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي -صلى الله عليه- كما يؤمن بالقرآن والصلاة، والزكاة والصوم والحج، لم ينفعه شيء من عمله، إلا أن يكون أعجمياً، أو صبياً أو امرأة، أو جاهلاً لم يقرأ القرآن، ولم يعلم العلم، فإن جملة الإسلام تجزيهم.

وقال الحسن: إن الله سبحانه أكمل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم الدين الذي افترضه على عباده وبينه له، وافترض عليه إبلاغه، فكان مما افترض الله على عباده طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وطاعة ولي الأمر الذي يستحق مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإبلاغ عنه، وليس من الفرائض فريضة أكثر قدراً، ولا أعظم خطراً من الإمام الذي يقوم مقام نبيه، وقد بين ذلك في محكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل الله الإمامة في أهل بيت الصفوة والطهارة، والهدى والتقوى، من ذرية إبراهيم وذرية محمد -صلى الله عليهما- ولا تصلح في غيرهم، لقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[آل عمران:٣٤] ثم قال لإبراهيم: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:١٢٤] فأخبر الله إبراهيم عليه السلام أنه إمام، وأن الإمامة في المتقين من ذريته، وأنها لا تصلح للظالمين،

وأخبر أن الإمامة عهده الذي لا يناله ظالمٌ على معنى من المعاني، ثم أخبر بمن يستحق الإمامة من ذرية إبراهيم فقال: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾[الأنبياء:٧٣] وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[السجدة:٢٤] فبين لنا أن الإمامة في المتقين والمهتدين، الصادقين الموقنين، الصابرين من ذرية إبراهيم، ثم بين الله لنا أن الإمامة في أهل بيت الصفوة والطهارة من ذرية إبراهيم فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[آل عمران:٣٥] وقال سبحانه: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾[فاطر:٣٣] وهذه الآية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، فالظالم لنفسه الذي يقترف من الذنوب ما يقترف الناس، والمقتصد الرجل الصالح الذي يعبد الله في منزله، والسابق بالخيرات الشاهر سيفه، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ثم أخبر الله سبحانه بذرية إبراهيم فقال: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ**

﴿ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[البقرة:١٢٨] ثم أخبر الله أن الأمة المسلمة هي التي استجاب الله فيها دعوة إبراهيم، وجعلهم شهداء على الناس، والشهداء على الناس الأنبياء، ومن يخلف الأنبياء من الذرية التي جنبها الله عبادة الأصنام وافترض مودتها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[الحج:٧٨] ثم ذكر الله سبحانه الذرية المصطفاة الطاهرة من ذرية إبراهيم الذي استجاب دعوته فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥] وقال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم:٣٧] فاستجاب الله دعوة إبراهيم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[الشورى:٢٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣] فلا تصلح الإمامة إلا في أهل بيت الصفوة والطهارة من ذرية إبراهيم، وذرية محمد -صلى الله عليهما- ومن الشجرة التي خلق الله منها إبراهيم ومحمداً -صلى الله عليهما- لأن الله يقول: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٣٤] ولا

تصلح الإمامة لمن يعبد صنماً لدعوة إبراهيم لبنيه المصطفين الطاهرين فقد اختص الله علياً بخصلتين ليستا لأحد من العالمين:

أحدهما: أن الله جعله مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتقلب معه في الأصلاب الزاكية، والأرحام الطاهرة، حتى أخرجه الله تعالى، ومحمداً من عبدالمطلب، وذلك أن أم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم أبي طالب واحدة، فهي فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**خرجت من طهر من لدن آدم إلى أن أخرجت من صلب أبي لم يمسسني سفاح الجاهلية**))، فلم يشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحدٍ من أهل بيت الطهارة والصفوة أنه خرج من لدن آم من طهرٍ إلا هو حتى انتهت الطهارة في المولد إلى عبد الله وأبي طالب، ثم أنزل الله على نبيه آية التطهير: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[الأحزاب:٣٣] فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكساء عليه وعلى علي وفاطمة والحسنين ثم قال: ((**هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**))[١].

والخصلة الأخرى: قول الله سبحانه: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ**

(١) سنن الترمذي ج٥ص٦٩٩.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[الأحزاب:٦] فليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من أهل بيته يجتمع له الإيمان والهجرة والقرابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا علي -عليه السلام-.

وقال الحسن -عليه السلام- في وقت آخر: ثم أخبر الله نبيه أن أولى الناس برسول الله وبالمؤمنين أول من تبعه فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٦٨] وكان إسماعيل أول من اتبع إبراهيم، وكان علي أول من اتبع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بين الله تعالى أن علياً أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لئلا يشك فيه أحد فقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[الأحزاب:٦] فليس نعلم أحداً من المؤمنين والمهاجرين ممن أومى الناس إلى أنه يستحق مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تجتمع فيه هذه الثلاث الخصال، السبق والإيمان والهجرة، والرحم والقرابة إلا علي صلى الله عليه، فإن الله سبحانه قد جمع له ذلك فهو أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرحم، والإيمان والهجرة، وأولى الناس بمقامه من الكتاب والسنة، وأولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولاهم بالناس؛ لأن أولى

الناس بإبراهيم إسماعيل؛ لأنه كان أول من اتبعه وهو ولي المؤمنين، وأولى الناس بهم.

وقال الحسن في وقت آخر: ولم يعرف أهل الإسلام مؤمناً مهاجراً له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم أولى به من علي -صلى الله عليه- فكانت الفريضة على الناس أن يأتوه وينقادوا له بالطاعة، كما قدمه الله ورسوله، ويجعلوه متبوعاً غير تابع؛ لأنه أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**علي أقضاكم**))، فلم ينقادوا له بالطاعة كما أمرهم الله، واستحال أن يكون المفضول إماماً للفاضل؛ لأن الله قدم الفاضل بفضله، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قدم من قدم الله، فمن قدم من أخر الله ورسوله وأخر من قدم الله ورسوله فقد خالف سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا، وقد روي عن علي -صلى الله عليه- أنه قال على المنبر: «والله لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أولى بالناس به بقميصي هذا».

وروي في الخبر المشهور أن بريدة وقع في علي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتغير لون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر

الغضب وقال: ((**يا بريدة أكفرت بعدي**)) فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، قال: ((**فإن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي**))[1].

وقال علي أيضاً وهو على المنبر: عهد إليَّ النبي الأمي أن الأمة ستغدر بي بعده، وقد سمى الله علياً من نفس رسوله فقال: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[آل عمران:٦١] وذلك حين باهله النصارى، فأحضر علياً وزوجته وابنيه، فأخبر الله في كتابه أنه من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن ابنيه أبناء رسول الله، وأن زوجته بنت رسول الله نساءه، فضلها الله على نساء العالمين، وكان خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر الصادقين، فأمر الله العباد أن يكونوا مع الصادقين فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة:١١٩].

ثم استخلفه بمكة حين عزمت قريش على أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه فخلفه واضطجع على فراشه ووقاه بادرة الحتوف بنفسه، وكان يأتيه بالطعام ليلاً، وأمره أن يؤدي عنه الأمانات التي كانت على يده، والودائع التي كانت عنده لما صار إلى الغار، وأن يخرج إليه أهله، فنفذ أمره

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤٤١.

وخرج يمشي مع أهله إلى المدينة مهاجراً على قدميه، حتى تفطرت قدماه دماً.

ثم قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فبنى المسجد وبنى فيه لنفسه بيتاً، وبنى لعلي بيتاً إلى جانب بيته، وأذن له في سكناه، وحرم على جميع العمومة والأقربين، والمهاجرين والأنصار، أن يبنوا في مسجده رفعة منه له، وإبانة منه لفضله ورفعاً لقدره، فتكلم في ذلك العمومة وبعض المهاجرين والأنصار فقال: ((**ما أنا أخرجتكم وأدخلته ولكن الله أمرني أن أدخله وأخرجكم**)) كل ذلك يبين الله منزلته لئلا يشك أحد في مكانه من رسول الله وعظم منزلته.

ثم أوتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطائر فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر**))[1] فخص الله علياً وأكرمه بتلك الدعوة، فأكل معه من ذلك الطير، فاستوجب بذلك أن يكون أحب خلق الله إلى الله وإلى رسوله، وأحب خلق الله إلى الله أرفعهم منزلة عند الله، وأوجبهم على المسلمين حقاً، وأولى أن يكونوا أشد له حباً من جميع الخلق، إذا كان كذلك عند الله عز وجل، وقد أقام في المدينة يعقد الألوية عشر سنين، ويؤمر الأمراء ويوجه

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤١٠.

السرايا، فلم يزل رسول الله يوليه لا يولي عليه، ولم تجر سنة رسول الله -صلى الله عليهما- في علي أنه جعله تبعاً لأحد من الناس.

ثم وجهه إلى اليمن وخالد بن الوليد على جيشين فقال: ((**إن اجتمع الجيشان فعلي أمير الجيشين**))، ولما بعث رسول الله علياً -صلى الله عليهما- إلى اليمن فقال: يا رسول الله إني حدث السن ولا أعلم بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إن الله هادٍ قلبك ومثبت لسانك، ثم مسح بيده على صدره ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه**))[1] فقال علي -عليه السلام-: فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين بعد دعوة رسول الله.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يا علي إني قد دعوت الله أن يجعل أذنك الأذن الواعية**)).

وقال الله عز وجل: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[الحاقة:١٢] وعلمه ألف باب كل باب منها يفتح ألف باب.

---

(١) سنن ابن ماجه ج٢ص٧٧٤.

وقال -عليه السلام- لفاطمة حين قالت له زوجتني علياً عديم قريش، فقال: ((**ما أنا زوجتك ولكن الله زوجك، أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، فالحمد لله الذي خصه بفواضل الكرامة، وقربه بالسبق إلى الإيمان، ورفع درجته على درجة المهاجرين والأنصار في سبيل الله، وجعله أعلم العلماء وأخشاهم لله**)) لأن الله يقول: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨] وجعله أفقه أصحاب رسول الله في دين الله، وأقضاهم بمحكم كتاب الله وسنة نبيه -عليه السلام-، ثم قال لأصحابه: ((**إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**)) فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: ((**لا**))، فقال له عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: ((**لا، ولكنه خاصف النعل**))[1] فأخبر علي بذلك فكأنه شيء قد سمعه من رسول الله قبل ذلك، كل ذلك يدل على أنه يستحق مقامه، وأنهما لا يستحقان مقامه، وليس لهما أن يقاتلا على تأويل القرآن، ثم أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقال علي: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين».

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤٦٦، مصنف ابن أبي شيبة ج٦ص٣٦٧.

وروي عن ابن مسعود قال: ((**أمر علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**))[1].

وعن أبي أيوب قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**تقاتلون الناكثين والقاسطين والمارقين**)) قلنا: مع من يا رسول الله؟ قال: ((**مع علي**))[2].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخبر المشهور أنه قال: ((**يأتي قوم من بعدي يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**))[3] فإنما مرقوا على علي -صلى الله عليه- فالإسلام علي، ومن كان مع علي.

ثم نهض المشركون لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخص الله علياً -صلى الله عليه- بفضل الجهاد والاحتواء على درجته التي هي أرفع الدرجات عند الله، فكان له يوم بدر الذي خصه الله به من قتل المشركين والنكاية فيهم ما لم يكن لأحدٍ مثله، وذلك أن رسول الله صلى الله

---

(١) مسند الإمام زيد بن علي ص٣٦٥.

(٢) مجموع الإمام القاسم الرسي.

(٣) صحيح مسلم ج٢ص٧٤٦.

عليه وآله وسلم أمره يوم بدر بالمبارزة للوليد وشيبة وعتبة، فأيده الله بالنصر ونزل القرآن بفضله، والشهادة له بالجنة بما من الله عليه من حسن الفعال في طاعة ربه ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[الحج:١٩][1] ثم لم يسو بينه وبين غيره فقال: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾[النساء: ٩٥] الآية.

ثم خصه الله عز وجل يوم أحدٍ فبذل نفسه ووقى رسول الله ظبا السيوف، وأطراف الرماح بنحره، أمره رسول الله بالمبارزة لبني عبد الدار، وهم أصحاب الرايات، فتولى قتلهم كلما قصد منهم قاصد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمى عليه بنفسه، فأيده الله بنصره، حتى قتل كل من أراد رسول الله بمكروه، حتى قال جبريل -عليه السلام-: «إن هذه لهي المواساة، ثم نادى لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»، فقال النبي -عليه السلام- لجبريل: ((**إنه مني وأنا منه**))، فقال جبريل: «وأنا منكما»[2].

ثم حشد الأحزاب لرسول الله فخصه الله بالكرامة والرفعة في الجهاد، فقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق وهزم الله المشركين، وأعز بقتله الإسلام إلى أن تقوم الساعة، وأذل الله الشرك إلى أن تقوم الساعة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برايته مع رجلين من المهاجرين فرجعا

---

(١) صحيح البخاري ج٥ص٧٥.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ص٦٥٦.

منهزمين يجبنهما أصحابهما، ويجبنان أصحابهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار ليس بفرار**))[1] فدعا علياً -عليه السلام- وكان رمد العين فتفل في عينه، ودعا الله أن يذهب عنه الحر والبرد، وأعطاه الراية ففتح الله على يديه، ثم ثبت معه يوم حنين في جماعة من أهل بيته حين فر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة الناس، فقال الله عز وجل: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[التوبة:٢٦] فخصه الله ومن كان معه بالسكينة.

ثم خرج رسول الله إلى تبوك واستخلفه على المدينة وقال: ((**لا يصلح لخلافتي إلا أنت**)) وفي حديث آخر: ((**لا يصلح المدينة إلا أنا أو أنت**)) فتكلم أناس في ذلك وقالوا: خلفه لخساسة منزلته فلحقه بعد أن سار فشكى إليه ما تكلم به الناس في تخليفه فقال: ((**يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**))[2] فقال: بلى، رضيت يا رسول الله، فقد بين الله سبحانه منزلة هارون من موسى فقال: ﴿**هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[طه:٣٢]

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤١١.

(٢) مسند الإمام زيد بن علي ص٣٦٤.

الآية، وقال موسى لهارون: ﴿**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي**﴾[الأعراف:١٤٢] فلعلي الأخوة والوزارة، والشركة في الأمر والخلافة في قومه، فلم يستثن صلى الله عليه وآله وسلم غير النبوة، ولو كان مع النبوة غيرها مما لا يحل له لاستثناه كما استثنى النبوة، فقد بين الله تعالى لنا في كتابه، وبين لنا رسول الله في سنته أن علي بن أبي طالب خليفة من بعده.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بعشر آيات من أول سورة براءة إلى أهل مكة، فنزل عليه جبريل -عليه السلام- فقال: «إنه لا يصلح أن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك»، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فرد أبا بكر ومضى علي -صلى الله عليه- ببراءة عن أمر الله، فكان المؤذن بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعله الله الأذان من الله ورسوله كل ذلك يبين منزلته واستحقاقه لمقامه.

وقال الحسن في (كتاب التوحيد): إن الله سبحانه أنزل على نبيه الكتاب وعلمه التنزيل، وأخبره بالتأويل وأنزل عليه الفرائض، وشرحها بالسنن، وعمل بها بين أظهرهم حتى عرفوها، وقامت عليهم الحجة، وعلمه الحلال والحرام حتى أكمل له الدين، فقال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة:٣] ثم فرض على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إبلاغ الدين الذي أكمله له فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ**

رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧] فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم ما أمر بتبليغه، وبينه حتى لم يبق لأحدٍ عليه حجة في التادية عن الله حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار، إلا وقد أخبرتكم به**)) واحتج الله علينا بذلك، فقال سبحانه: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[النساء:١٦٥] فكان أول دعوته أن دعى إلى الشهادتين فكان ذلك أول الفرائض، ثم دعاهم إلى الصلاة وحد لهم ما يجب عليهم فيها، وعمل بذلك بينهم حتى فهموه، ثم دعاهم إلى الصيام وصام معهم شهر رمضان، وعلمهم حدود ما يجب عليهم فيه، ثم دعاهم إلى الحج فحج بهم معلماً لهم ما يجب عليهم فيه، فطاف بهم حول البيت، وسعى بين الصفا والمروة، ثم وقف بهم المواقف كلها، ونسك بهم المناسك، وذبح الذبائح حتى علمهم حدود الحج وفهموه، ولم يبق لهم عليه حجة في البيان، ثم أخبره أنه ميت فقال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[الزمر:٣٠].

فكان مما افترض الله عليه إبلاغه لإكمال دينه وإتمام أمره، من يقوم مقامه بعده إذاً أعلمه أن الدين لا يتم إلا لمن يقوم مقامه إذ كان في صفة الحكيم، وإحكام صنعته أن الخلق لا يصلح إلا بمقوم يقوم اعوجاجهم ويسوي صعرهم، إذ كان الاعوجاج من صفتهم، وقد ندبهم إلى أمر واحد لا اختلاف فيه فقال: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[الأنعام:١٥٣] وعلمنا أنه ليس بصفة الحكيم أن

يخلق خلقاً ليس من طبعهم الاتفاق في الرأي والهوى، ثم يندبهم إلى خلاف صفتهم بلا مقوم يقيمهم على ما أمر به من الاتفاق، ويذودهم عن معصيته، ويدعوهم إلى طاعته، فعلمنا أن الأمر ليس بمفوض إلى رأيهم إذ كان ليس في صفتهم ما أمرهم به، ولا يصلون إليه إلا بمؤدب يكرههم عليه، وقد أدى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام لهم من يقوم مقامه، ويحكم فيهم بأحكامه، ويمضي فيهم أمره وينهاهم عن نهيه، أذناً واعية، وقلباً هادياً، ولساناً ناطقاً بالحق يحفظ ما نسوا، ويعلمهم ما جهلوا وهو علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-، وقد ندبهم الله إلى ذلك فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:٥٩].

ثم أكد في ذلك الحجة عليهم، فأعلمهم أن ولي الأمر من يعلم ما يجهلون، ويحفظ ما ينسون، واستحال أن يكون الجاهل إماماً للعالم إذاً كان الجاهل مندوباً إلى العالم، فاستحال أن يندب المتبوع إلى التابع، وقد أمر المتبوع بتعليم التابع، والله سبحانه يقول: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[يونس:٣٥] فعاب ذلك من حكمهم، وقال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[النحل:٤٣] ثم دل عليه فقال: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُّ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:٦٨] فأخبر أن للمؤمنين ولياً هو أولى من اتبعه به، فقال: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ**

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] فدل عليه بصفة، وقد أجمع نقلة العلم بالخبر المشهور عن غير تواطئ أن علي بن أبي طالب هو الذي آتى الزكاة وهو راكع، ثم بين أنه هو لئلا يدعي مكانه أحد، ولا يرتاب مسلم في معرفته، فقال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا**﴾[الأحزاب:٦] فليس أحد ممن أومى الناس إليه أولى برسول الله بالإيمان والهجرة والرحم من علي بن أبي طالب.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وهما الخليفتان من بعدي فالهدى فيهما**)) والكتاب يدل على العترة والعترة تدل على الكتاب فأكثرها به تمسكاً دلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الهدى، وقالت طائفة من الناس من غير حجة ولا أمرٍ من الله ولا من رسوله، إن أبا بكر أولى الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقالت طائفة أخرى: إن العباس بن عبد المطلب أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأبي بكر إيمان وهجرة، وليس له برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم قريبة به يستحق بها المقام، وللعباس إيمان ورحم قريبة، وليست له هجرة يستحق بها أن يكون أولى الناس برسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم، ولن تجتمع هذه الثلاث الخصال التي فيها بيان الفضل إلا في علي بن أبي طالب -عليه السلام- فهو أولى الناس برسول الله في الإيمان والهجرة، والرحم، وأولى الناس بمقامه، وأفضل الناس فضلاً، وأعلمهم علماً، وأقدمهم سلماً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[الواقعة:١٢] ثم شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الفريضة التي افترضها الله فيمن يستحق مقامه بالسنة في ولي الأمر، فأخذ رسول الله بيده يوم غدير خم فقال: ((**يا أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم -يقول ذلك ثلاثاً- ليفهمه من عمي عن فهمه ويبلغ الشاهد الغائب، قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**))[1] فعلم الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يقول مولى عبودية، وإنما عنى مولاكم في دينكم، وقد عرفوا أنه ابن عمه، فما أسوأ حال من تقدم أمام مولاه في دينه، ثم لم يزل رسول الله يدل على علي منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبضه الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستخلفه ولا يستخلف عليه، ويوليه ولا يولي عليه، فكان من أولى الدلالات عليه أن الله سبحانه لما أمر نبيه أن ينذر عشيرته جمع بني عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، ثم ساق الحسن بن يحيى -عليه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢ص٢٧١.

السلام- ذكر الوصية والأخوة، وآية التطهير والمباهلة، وقد تقدم ذكر ذلك ما يستغنى عن إعادته هنا.

قال الحسن: أجمع علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن علي بن أبي طالب كان أفضل الناس بعد رسول الله، وأعلمهم وأولاهم بمقامه، ثم من بعد أمير المؤمنين الحسن والحسين أولى الناس بمقام أمير المؤمنين، ثم من بعد ذلك علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأتقياهم، وأبرارهم أئمة المسلمين في حلالهم وحرامهم وسنن نبيهم، فمن أمر منهم بالمعروف ونهى عن المنكر، وجبت على المسلمين معاونته ونصرته، وأن القائم منهم بالمعروف والجهاد أفضل عندهم من القاعد، وكل مصيب قدوة.

[إمامة الحسن والحسين عليهما السلام]:

قال الحسن: وقد دل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة علي والحسن والحسين بأعيانهم وأسمائهم، فقال في علي -صلى الله عليه- ما تقدم ذكره في باب إمامته، وقال في الحسن والحسين -صلى الله عليهما-: ((**هما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما**))[1] فجعلهما سيدين، وبين فضلهما، ودل على إمامتهما، ودل أنه لا يحل لأحد أن يتقدم من جعله

(١) سنن ابن ماجه ج١ ص٤٤.

رسول الله سيداً، وشهد له بالجنة، وقال: ((**اللهم أحب من أحبهما وابغض من أبغضهما**))[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**تعلموا منهما ولا تعلموهما، فهما أعلم منكم**))[2].

وقال لأبيهما ولهما: ((**أنا سلم لمن سالمتم حرب لمن حاربتم**))[3] فأثبت أن حربهم حربه، وسلمهم سلمه، وهذه قضية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وفيمن تمسك بالكتاب من الذرية، وقال: ((**إن استنصروكم فانصروهم، وإن لبدوا فالبدوا**)) وأوجب على الأمة نصرتهم إذا استنصروهم، ولم يأمرهما بنصر أحد ولا اتباعه، وفي ذلك دليل على أنهما المتبوعان، وليسا بتابعين وفي إبانة فضلهما في علمهما وأنفسهما على جميع الأمة دليل على أنه لا يجوز أن يكون الفاضل العالم تبعاً للجاهل المفضول، فكيف وقد أمر الله بنصرتهما وقال: ((**النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي**))[4] وخصهما الله بأبوة رسول الله وسماهما ابنيه في كتابه فقال: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾[آل عمران:٦١] الآية، وخصهما بآية

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٣ص٤٩.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٣ص٦٦.

(٣) سنن الترمذي ج٥ص٦٩٩.

(٤) مسند الروياني ج٢ص٢٥٣.

التطهير ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[الأحزاب: ٣٣] فلما نزلت هذه الآية جعل رسول الله الكساء عليه وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: ((**هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**))[1] وفرض مودتهما على كل مسلم، ومودة علي وذريتهما، وجعل لهما الخمس فريضة في كتاب الله فلهما آية الصفوة، قوله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[فاطر:٣٢] وآية التطهير، وآية المباهلة، وآية الخمس، وآية الفيء، وآية المودة، فدل عليهما بالدلالة التي أبان فضلهما وعظم منزلتهما، وقال الله سبحانه: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾[الروم:٣٨] فدل عليهما بأعيانهما وأسمائهما، وأنسابهما وأفعالهما، فإمامتهما واحدة، وحقهما واجب، وهما إمامان في وقت واحد، إن قاما فلهما وإن قعدا فلهما، درجتهما في الجنة واحدة، ومنزلتهما في الجنة واحدة، إلا أن الحسن يتقدم الحسين بالسن لقول النبي -عليه السلام-: ((**يؤمكم أقرأكم لكتاب الله، وأقدمكم هجرة، وأعلاكم سناً**))، وقال لأبيهما ولهما ولمن تمسك بالكتاب من ذريتهما: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي**)) فهما أبوا العترة وسيداها، والموضع الذي أخبر رسول الله أن في التمسك بهما الهدى فلا يحل لمسلم أن يتقدمهما، ولا يطلب الهدى في غيرهما ولا في غير

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤١٧.

أولادهما، المتمسكين بالكتاب، ودلالته على أولادهما أن يتمسك العباد بهما، وبالمتمسكين بالكتاب من ذريتهما، فمن تمسك بالكتاب وبهم لن يضل أبداً.

[إمامة من بعد الحسنين عليهما السلام]:

ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف الإمامة بعد هؤلاء المسمين بأعيانهم-يعني بعد علي والحسن والحسين- فقال: ((**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وهما الخليفتان من بعدي**)) فبين بهذا الكلام فضل الإمامة كيف هو في كل عصر وزمان إلى الأبد على هذه الشريطة التي شرط وهي لزوم الكتاب، فإذا كان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل عالم بكتاب الله وسنة نبيه عامل بذلك فهو الإمام الذي دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل عصر وزمان، على المسلمين الأخذ عنه حلالهم وحرامهم، وسنن نبيهم، فإذا دعاهم إلى نصرة الحق وجب عليهم نصرته، ولن يخلو أهل بيت رسول الله في كل عصر وزمان أن يكون فيهم مأمون على كتاب الله وسنة نبيه، علمه من علمه وجهله من جهله، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((**لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**)) فهذا إجماع من مضى من آل رسول الله الأتقياء الأبرار الذين بهم يقتدى، فقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمامة، ولم يدع لأحد فيها اختياراً، وبينها الله في كتابه فقال: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ**

﴿بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران:١١٠] وقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة:٧] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف:١٠] إلى آخر الآيتين، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[الحديد:١٠] الآية، وقال: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾[النساء:٩٥] الآيتين، فقد بين الله لذوي العقول والأديان، ودلهم على أن أفضل آل رسول الله أتقاهم لله، وأعلمهم بكتاب الله، وأكثرهم جهاداً في سبيل الله، فأشد أهل بيت النبي تمسكاً وأكثرهم به علماً وعملاً، أوجبهم على المسلمين حقاً، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهدي وسماه باسمه واسم أبيه، فقال: ((**اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي، سخي بالمال، شديد على العمال، رحيم بالمساكين**))، والشريطة فيمن لم يسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير وقت دولتهم من كان من العترة فيه العلم والجهاد، والعدل، وأداء الأمانات إلى أهلها.

وقال محمد بن علي وزيد بن علي وكانا إمامين من أئمة الهدى: نحن ولد فاطمة أئمتكم في حلالكم وحرامكم، الإمام منا المفترض الطاعة، الشاهر سيفه، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس

الإمام المفترض الطاعة الجالس في بيته، المرخي عليه ستره، تجري عليه أحكام الظلمة ولا تجري حكومته على ما وارى بابه، وذلك أنهم لا يحتاجون إلى الطاعة إلا مع الأمر والنهي، وإقامة الحدود، وأخذ الأفياء والأخماس من مواضعها، ووضعها في أهلها، والأخذ للمظلوم من الظالم.

قال محمد في كتاب (المسائل): وليس بين ولد الحسن والحسين عندنا فرق في الإمامة، فمن قام فهو يستحق مقامه بالعلم والورع، والعقل وهو عندنا موضع لما قام به، وعلى ذلك رأينا آل رسول الله -عليه وعليهم السلام- من مضى منهم وممن أدركنا منهم أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، وقاسم بن إبراهيم، وغيرهم ممن أدركنا من علمائهم، وقد ثبت لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي**)).

[الرافضة]:

قال محمد في (كتاب أحمد بن عيسى -عليه السلام-)[1]: حدثنا قاسم بن إبراهيم، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي -عليهم السلام- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يكون قوم**

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٥.

يهلكون بإدعاء حبك لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة، إن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون)).

قال قاسم بن إبراهيم: فكنت أهاب هذا الحديث، ثم نظرت فإذا هم مشركون من وجوه.

قال الحسني: قرأت في (كتاب أحمد بن بشار الثوري) بخطه، وكان ثقة فاضلاً، قال أبو جعفر محمد بن منصور: قرأت على قاسم بن إبراهيم هذا الكلام، سألت يوماً أبي -رحمة الله عليه-: لِمَ سُميت الرافضة[1] بالرفض، ولِمَ نسبت إلى ما نُسبت إليه من الشنآن لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبغض؟

فقال: سُميت الرافضة لرفضها آل رسول الله كلهم، ولاختيارها برأيها وأهوائها إماماً منهم، وليس بأعلمهم ولا أفضلهم، فهي يا بني كما سميت الرافضة من حق الله في الإمامة لما رفضت، والمبغضة من أولياء الله القائمين بالقسط لمن أبغضت، التي لم تأل أبرار آل نبيها صلى الله عليه وآله وسلم تجهيلاً وتضليلاً، وتعويقاً للناس عنهم وتخذيلاً، صداً منهم عن سبيل الله، وتفريقاً عن جهاد أعداء الله، وانتضاحاً في ذلك لضدهم وفرحاً

---

(١) قال الأصمعي: «إِنَّمَا سميت الرافضة لأَنهم رفضوا زيد بن عَليّ وتركوه» غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٢٥٢.

في ذلك بمقعدهم عما قام به رسول رب العالمين، من جهاد الكفرة المضلين، وفي المتخلفين والمعوقين عن ذلك، والصادين بقول الله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ** إلى قوله: **وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[التوبة:٣٨-٣٩] وقال: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾[إبراهيم:٣] وقال سبحانه فيمن فرح بمقعده عن الجهاد مع تعطيله: ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا** إلى قوله: **يَكْسِبُونَ**﴾[التوبة:٨١-٨٢] فلعمري لذنبهم في تخلفهم وإن كان موبقاً، وقعودهم وإن كان عند الله فسقاً، أيسر في الهلكة حظاً وأصغر مرتكباً من ذنب من واجه حكم الله في الجهاد برده مع تعطيله، وقال بالتضليل والتجهيل لمن قام بفريضة الله من الجهاد(١).

و«زعمت الرافضة أنه لم يكن قرن من القرون إلا وفيهم وصي نبي، أو وصي من وصي، أو حجة من الله عليهم مفروضة عليهم طاعته ومعرفته، فيسألون عن فترات الرسل هل خلت فترة من أن يكون فيها إمام هادٍ وحجة الله على العباد؟ فإن قالوا: لا تخلو فترة من أن يكون فيها إمام

(١) للإمام الهادي كلام قريب منه في الأحكام منه: «...وناصبوا الآمرين بالحسنات المنكرين للمنكر والشرارات الائمة الهادين من أهل بيت الرسول المطهرين...».

هادٍ ليس بأحد معه إلى غيره حاجة، قيل له فلا حاجة إذاً بعد آدم بأمة خلت إلى أن يبعث فيهم نبي، ولا فاقة إليه لأن وصيها كافٍ في الحجة عليها، مستغنٍ به عن التعريف والتكليف، وفي هذا القول غنى عن كل نبي أو رسول، وفي هذا من إكذاب كتاب الله ما لا خفى به، قال الله سبحانه: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[النساء:١٦٥] مع ما ذكر سبحانه مما يكثر عن الإحصاء، وقال: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾[غافر:٧٨] فلم يذكر الله تعالى سبحانه في ذلك وصياً ولا شيئاً مما قالت الروافض، هذا إلى ما قرنوا به من الضلال بقولهم في الوصية، وما عظموا به على الله ورسوله من الفرية التي ليس لهم بها في العقول حجة ولا برهان، ولم يُنزل بها من الله وحيٌ ولا فرقان، وما قالت به الرافضة من الأوصياء فهو قول فرقة كافرة ضالة من أهل الهند يقال لها البرهمية، تزعم أنها مكتفية بإمامة آدم عن كل رسول، وأن كل من ادعى بعده نبوة فقد ادعى دعوة كاذبة، وأنه أوصى إلى وصي من ولده، ثم يقودون وصيته بالأوصياء إليهم»[1].

[دعوى الإجماع المركب على الإمامة]:

وقال الحسن بن يحيى: وسألت عن قول من يقول بالإمامة وذكرت أنهم يقولون لإنكم اجتمعتم معنا على أن الإمامة تصلح في ولد الحسين، ولم

---

(١) الرد على الرافضة في الوصي والحجة.

نجتمع معكم على أنها تصلح في ولد الحسن، فنحن على الإجماع في قولنا؟ فالجواب في ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دل على علي والحسن والحسين بأعيانهم وأسمائهم بإجماعنا، ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف الإمامة بعد هؤلاء المسمين بأعيانهم فقال: ((**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وهما الخليفتان من بعدي**)) فبين بهذا الكلام الإمامة إلى الأبد، على هذه الشريطة التي شرط وهي لزوم الكتاب، واجتمعنا نحن وأنتم على هذا الحديث، وروته الأمة من غير تواطئ، فلم يسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلان بعد فلان، ولا رجل بعد رجل، وإنما جعل -عليه السلام- الخليفة من بعده من أهل بيته من عمل بالكتاب، وذلك قوله: ((**وهما الخيلفتان من بعدي**)) فتركتم أنتم ما اجتمعت الأمة على روايته، وأجمعت الشيعة على استعماله، وقلتم بالرأي في دين الله فقلتم: الإمامة وصية أوصى بها فلان إلى فلان بالإمامة، وهو حجة الله على خلقه من تقدمه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطأتموه وكذبتموه وضللتموه، فلا يكون القول منكم بالرأي ناقضاً لإجماعنا وإجماعكم، فنحن على الأصل الذي أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نحدث في دين الله رأياً ولااختياراً، إلا ما شرط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العمل بالكتاب، فإن كان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالم بكتاب الله وسنة نبيه، عامل بذلك، فهو الإمام الذي دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل

وقت وزمان على المسلمين الأخذ عنه حلالهم وحرامهم وسنة نبيهم، فإذا دعاهم إلى نصرة الحق وجب عليهم نصرته، ولسنا نقول إن هذا خاص في بطن دون بطن، وليس لنا ولا لكم أن نحدث في دين الله بالرأي؛ لأن الدين قد أكمل وقد بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقصر في إبلاغه، فقد بين فرض الإمامة كيف هو في كل عصر وزمانٍ، ولن يخلو أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله في كل عصر وزمان أن يكون فيهم المأمون على كتاب الله وسنة نبيه، علمه من علمه وجهله من جهله؛ لأن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسقط لقوله: ((**لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**)) فهذا الإجماع من قول من مضى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأتقياء الأبرار، الذين بهم يقتدى، ويقال لهم أيضاً: أنتم أصل مقالتكم طرح الرأي في دين الله والقياس، إذ زعمتم أن من تقدم أمير المؤمنين -صلى الله عليه- إنما كان ذلك بالرأي، ولم تجيزوا ذلك، وزعمتم أن الذين اختاروا غيره أن ذلك رأي منهم، وأن الرأي لا يجوز عندكم، فيلزمكم إيضاً طرح الرأي في الإمامة، وفي غيرها بعد الحسن والحسين، واختياركم الإمام بالرأي، وإلا تركتم أصل ما ذهبتم إليه أولاً، إلا أن تزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني تارك فيكم فلاناً بعد فلان إلى يوم القيامة، فهذا لا تأتون به أبداً، وقد حرم الله القول عليه بغير علم، فقال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ**

﴿تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣] فقد حرم الله القول عليه بغير علم، ومن ذلك قولكم إن الله فرض طاعة فلان بعد فلان باسمه ونسبه فأوجبتم على الخلق فرضاً لم يأمر الله به، ولم يسنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

[مناظرة في الإمامة]:

وقد لقيني رجل من متكلمي أصحاب الإمامة يناظرني في مقالته، فقلت له: أخبرني بما ثبتت الإمامة لعلي -صلى الله عليه-؟ فقال: بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**من كنت مولاه فعلي مولاه**)) و ((**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**)) وأشباه ذلك، فقلت له: فهل تثبت للحسن بن علي -صلى الله عليهما- في أمر الإمامة ما تثبت لعلي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تدل عليه كما دل رسول الله على علي -صلى الله عليه-؟ فسكت، فما أجاب وانقطع، وبيان ما يلزم القوم من ذلك أنهم زعموا أن الإمامة ثبتت بالوصية، أيكون أمرها واحداً في أولها وآخرها، فإذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي ودل عليه فكذلك يلزم في قولهم أن يكون علي قال في الحسن ودل عليه، وكذلك يقول الحسن في الحسين -عليهما السلام- حتى يسوق ذلك خبراً مشهوراً متسقاً به النقل من غير تواطئ من الأمة، كما نقلت الأمة أخبار علي بن أبي طالب -صلى الله عليه - مشهورة عن غير تواطئ؛ لأن الإمامة أكبر الفرائض وأعظمها

قدراً فلم يكن علي والحسن والحسين-صلى الله عليهم- ومن بعدهم من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتركوا أن يبينوا عن فرض الإمامة، إذ كانت من أعظم الفرائض خطراً، وبها تقوم الفرائض حتى يأتي ذلك عنهم مشهوراً معلوماً، ينقله الشيعة بإجماع من غير تواطئ، والوجه في ذلك عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوجب الإمامة على أمته بما دلهم عليه من التمسك بعترته على ما شرط من لزوم الكتاب والعمل به لم يحتج أمير المؤمنين ولا الحسن ولا الحسين-صلى الله عليهم- ولا من بعدهم من أبرار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يحددوا أشياءً غير ما دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر به، فهذا أصل القول في الإمامة، وما لا يختلف فيه أحد من أهل النقل، ولا يختلف فيه أحد من أصناف الشيعة في الاستعمال إذا أنصفوا.

وقال الحسن في وقت آخر: وسئل عن قولهم بإمامة رجل وسموه باسمه فقال: الحجة من الله على العباد آية محكمة منزلة بينة، أو بسنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهورة متسق بها الخبر، عن غير تواطئ، فما بينتهم وما حجتهم على ما ادعوا، وكل مدعٍ فعليه البرهان، والبينة من غير أهل الدعوى، ولا سبيل لهم على أن يأتوا على ما ادعوا ببرهان من كتاب ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

[باب الأدلة]

[الكتاب والسنة]:

قال الحسن: والحجة من الله عز وجل على الخلق آية محكمة من كتاب الله تحل حلالاً، أو تحرم حراماً، أو تأمر بأمرٍ، أو تنهى عن نهي.

وقال الحسن في وقت آخر: الحجة من الله على الخلق آية محكمة تدل على هدى أو ترد عن ردى، أو سنة من رسول الله مشهورة متسق بها الخبر عن غير تواطئ أو عن علي، أو عن الحسن أو عن الحسين -عليهم السلام، أو عن أبرار العترة العلماء الأتقياء المتمسكين بالكتاب والسنة، الذين دل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبر أن الهدى فيهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا أن الهدى في التمسك بالكتاب، وبمن تمسك بالكتاب من العترة فهذا موضع الحق والهدى، وبه تقوم الحجج في كل ما اختلف الناس فيه، وذلك أن أهل الإسلام أجمعوا على التصديق بالله، والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق بالكتاب الذي جاء به من عند الله، بإجماع الأمة بالأخبار المشهورة عن غير تواطئ.

وقال الحسن في وقت آخر: المخرج من الاختلاف في الحلال والحرام اتباع المحكم المنصوص عليه من كتاب الله، والأخذ بالأخبار المشهورة المتسق بها الخبر عن غير تواطئ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو عن علي -صلى الله عليه - أو عن خيار العترة الموافقة للمحكم من كتاب الله واتباع الأبرار الأتقياء الأخيار من عترة رسول الله، فهذه الحجج الواجبة على المسلمين.

[طرق تأويل الكتاب]:

قال محمد في (كتاب الجملة): ولابد لمن تأول القرآن في الأحكام والحلال والحرام أن يستعمل الآثار، واتباع السنن في تأويل القرآن، قال الله عز وجل: ﴿**فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ**﴾[النساء:٩٢] ففي أي مكان فسر ذلك من القرآن بلا أثر فيه اتباع سنة أن الدية كذا وكذا في وقت كذا، تؤخذ في كذا من الذهب والورق، والإبل والغنم، وما أشبه ذلك وعلى من هي، وقال عز وجل: ﴿**وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾[المائدة:٤٥] فأي مكان قال لك في القرآن في الموضحة كذا وما الموضحة؟ وفي الهاشمة كذا وما الهاشمة؟ وفي المنقلة كذا وما المنقلة؟ وفي الآمة كذا وما الآمة؟ وكذلك الجائفة وغيرها من الجراحات، وقوله سبحانه: ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾[البقرة:٢٣٦] وقوله: ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾[المائدة:٩٥] فانظر رحمك الله ما قدر الموسع والمقتر وما الحكم في ظبي، أو فوق ذلك أو

دونه، وهل يستخرج حكم الله وسنة رسوله في ذلك إلا بالآثار التي رواها المسلمون بعضهم عن بعض.

[الرد على من زعم الاكتفاء بالقرآن]:

فمن دفع الآثار في ذلك وزعم أنه مستغن بالقرآن لقوله عز وجل: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأنعام:٣٨] فهذ رجل جاهل، متهم على الإسلام بعمد أو جهل، ليس له أن يتكلم في دين الله، وإنما قوله عز وجل: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأنعام:٣٨] يريد الأصول والأمهات، مثل أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ولله على الناس حج البيت، وما أشبه ذلك من الفرائض المسميات التي فسرت بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن العلماء بعده، لا يدرك تفسيرها وشرحها إلا بالرجوع إلى الآثار.

[إجماع العترة والاختلاف من جهة النظر]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[1]: سمعت أحمد بن عيسى يقول: لا يختلف آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق حكم من الله جل وعز، وذكر اختلاف أبي جعفر وزيد بن علي -عليهما الاسلام- في نكاح نساء أهل الذمة، فقال أبو جعفر: هو حلال، وقال زيد: هو حرام.

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٢٢.

قال أحمد بن عيسى: فلم يحرمه زيد بن علي على أن تحريمه حكم من الله، ولو كان كذلك لبرئ كل ممن خالفه، وبرئ كل واحدٍ منهما من صاحبه، ولكنه حرمه من جهة النظر على أنه عنده كذلك.

قال محمد: حدثنا عباد، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر إنكم تختلفون، قال: إنا نختلف ونجتمع، ولم يجمعنا الله على ضلالة(١).

وقال الحسن: كلما أجمع عليه أبرار العترة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله فقد لزم أهل الإسلام العمل به.

وقال محمد بن علي وزيد بن علي -عليهم السلام- وكانا إمامين من أئمة الهدى: ونحن ولد فاطمة أئمتكم في حلالكم وحرامكم.

[مما أجمعت عليه العترة]:

قال الحسن: فكل ما أجمع عليه أبرار علماء العترة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله، فقد لزم أهل الإسلام العمل به، فمما أجمع

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٢٢.

عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نفي التشبيه عن الله، وأنه ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، تعالى عن الصفات والأشباه، والأنداد والنظراء، وأن الله خالق كل شيء، وأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، ونسميه بما سماه الله به في كتابه لا نجاوز ذلك إلى غيره.

وأجمعوا على كراهية الجدال والإحداث في دين الله، والنظر فيما لم يكلف الناس النظر فيه، وأجمعوا أنه من أحسن فلله عليه المنة في إحسانه، ومن أساء فلله عليه الحجة في إساءته، وهو غير معذور في معصيته، ولن يخرج الخلق بين قدرة الله وتدبيره وملكه، وأن الله خالق لجميع الأشياء لا خالق غيره [الأفعال وغير ذلك][1]، وأجمعوا على النهي عن الكلام في تفسير القرآن بغير علم، ورووا في ذلك هم والأمة معهم من فسر القرآن برأيه أو قال فيه بغير علمٍ قولاً عظيماً، ورووه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بعده ممن يجب الأخذ عنه.

وأجمعوا هم والأمة معهم على أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً، وأنه لا يسع أحداً يتكلم في القرآن إلا من يعلم ذلك، وأن أحداً لا يكون في القرآن حجة بالرأي والاستحسان، بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**من فسر آية من كتاب الله برأيه لقي الله وهو عليه ساخط**))، ولو أن تأويل القرآن مباح للناس، وأن الله

---

(١) هذه زيادة مدسوسة.

تعبدهم بأن يتأولوا القرآن برأيهم ومبلغ عقولهم، ما احتاجوا إلى أن الله يبعث إليهم الرسل يعلمونهم السنن، ومن زعم أن التأويل مباح لغيره فقد أكفر نفسه إذ زعم أن لمن خالفه إذا تأول القرآن برأيه أن يكون على الصواب، فلمن خالفه أن يكفره ويضلله، وإنما التأويل هو الذي نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلمه إياه عن رب العالمين، ليس يوصل إلى ذلك التأويل إلا بالأخبار المشهورة المتسقة عن غير تواطئ، أو بنقل صادق عن صادق.

وأجمعوا هم وعلماء الأمة على أنه ما كان من فرض من حلال أو حرام، أو أمرٍ أو نهي في كتاب الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المبين لذلك عن الله والدال عليه، والحجة على الخلق من الله جل وعز فيه لقوله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[الحشر:٧]، وقوله: و﴿**أَطِيعُوا اللهَّ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[آل عمران:٣٢] ونحو ذلك في القرآن كثير.

وأجمعوا على أن كل ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه مما ليس له أصل في القرآن مثل الرجم للمحصن والمحصنة، ومثل قوله: ((**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**))[1] ومثل قوله: ((**لا تنكح المرأة**

(١) سنن النسائي ج٦ص٩٩.

على عمتها ولا على خالتها))[1] وما كان نحو ذلك فإجماع آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء الأمة على أن ذلك لازم العمل به، والحكم به لا يسع أحداً تركه ولا خلافه، ولم ينظروا في ذلك إلى رد الخوارج، ومن قال بقولهم في رد الأخبار، وقالوا ليس الخوارج من علماء الإسلام وليس لهم مع أهل العلم نظر لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**))[2] وتجريهم على تأويل القرآن بلا حجة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه الخصال مما اجتمع عليه آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الاختلاف وهي أصول الدين، وما يلزم أهل الإسلام العمل عليه، والاقتداء به، ثم اختلفت الأمة بعد ذلك في فروع هذه الأصول فسبيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأخذ بما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء بما أجمع عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترك ما سوى ذلك.

[إجماع الأمة]:

قال الحسن فيما اجتمعت الأمة عليه من الفرائض فإجماعهم هو الحجة على اختلافهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((**ما كان**

---

(١) صحيح مسلم ج٢ص١٠٢٩.

(٢) صحيح مسلم ج٢ص٧٥٠.

الله ليجمع أمتي على ضلالة))[1] وما اختلفوا فيه من حلال أو حرام، أو حكم أو سنة فدلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك قائمة بقوله: **((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض))**[2] فهذا موضع الحجة منه عليهم، وهذا خبر مشهور، ونقلته الأمة عن غير تواطئ، فأبرار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤساء الأمة وقادتها وسادتها، الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الهدى في التمسك بهم، وإنما هذا خاص لهم دون غيرهم، وهم الذين أورثوا الكتاب، وأمر برد الأمور إليهم، فقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[النحل:٤٣].

[متابعة العلماء]:

وقال الحسن في وقت آخر: وفرض الله اتباع العلماء فقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾[النحل:٤٣] وسمى الله رسوله ذكراً فقال: ﴿**قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا**﴾[الطلاق:١١] فأهل بيته المصطفون الطاهرون العلماء الذين أوجب الله أن يسألوا، وأن يكونوا متبوعين غير تابعين، وقال الله سبجانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ**

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج١ص٢٠٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ج٧ص٤٣٧.

الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩] وقال: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[النساء:٨٣] فدل عليهم بالعلم أنهم يعلمون ما يجهل العباد معرفته من ظاهر أحكام الله، وفرائضه وحدوده، وسننه التي لا يسع العباد جهلها، ولا يسوغ لهم الإضراب عنها، فمن ادعى ديناً أو تأول تأويلاً، أو ذهب إلى رأي من الأراء من غير الطريق الذي دل عليه الكتاب والرسول، وأبرار العترة فقد ضل ضلالاً بعيداً، وقال الله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[الحشر:٧] وقال عز وجل: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء:١١٥].

[الإجماع الملزم]:

قال محمد في (كتاب الجملة): يلزم الحجة في الإجماع بآية محكمة لا تحتمل تأويلاً، أو بسنة قائمة عن رسول الله لا يختلف فيها إجماع الأمة، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((**لا تجتمع أمتي على ضلالة**))، والإجماع الذي لا اختلاف فيه الذي يقوم مقام القرآن.

[مما أجمعت عليه الأمة]:

اجتمعت الأمة على أشياء منها: أنه إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر ووجبت الصلاة، وأجمعوا جميعاً أن الظل وقت زوال الشمس

ما كان من نقصان فأنت في صدر النهار ولم تزل الشمس، وإذا ابتدأ الظل في الزيادة فقد زالت الشمس ودخل وقت الظهر، وأجمعت الأمة جميعاً أنه إذا غربت الشمس وأيقنت خروج النهار ودخول الليل فقد أفطر الصائم، ووجبت صلاة المغرب، وأجمعت الأمة إذا طلع الفجر فقد حرم الطعام على الصائم وحلت صلاة الفجر، وأجمعوا أن الفجر هو المعترض، واختلفوا فيما قبل ذلك من سائر الفرائض التي تجب أو تزول بطلوع الفجر، لاختلافهم في النور الساطع الممتد في أفق السماء.

[القياس]:

قال الحسن: وسئل عن القياس في الدين هل يجوز؟

فقال: القياس بالرأي في الدين بالابتداع حرام، والرأي بالخلاف لكتاب الله وسنة نبيه محرم، ومباح لهم أن يتبعوه بالرأي والقياس بكتاب الله وسنة نبيه، متبعين غير مبتدعين ولا متبعين للهوى، وإنما جعل الله العقول للعباد ليتدبروا ويتفكروا ويقيسوا الأشياء بعضها ببعضٍ ويميزوا بعقولهم فقال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[محمد:٢٤] وقال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[النساء:٨٢] وقال: و﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:١٨] وقد سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي -صلى الله عليه -:

((اعمل بما في كتاب الله، وبما وجدته في سنة رسول الله، واعطف الرأي على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الرأي))[1].

وقال محمد في (كتاب القضاء): إذا ورد على القاضي أمر لم يجده في الكتاب، ولا في السنة، ولا في إجماع الأمة، فليجتهد رأيه في تمثيله وقياسه بأشبه الأصول به وليستعن بغيره من أهل العلم ويستشيرهم، فإن أجمع رأيه ورأيهم على شيء فليحكم به[2].

---

(١) في معرفة الصحابة لأبي نعيم: ((**إذا رأيت قومك قد عدلوا الهوى على الرأي، فاعدل الرأي على الهدى، فإن الهدى من الله أمره ونهيه، والأخذ بالشبهات، يستحل الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والبخس بالذكاة، ويقتل البريء ليغيظ به العامة**)) ج٤ص١٩٦٩.

(٢) أبي خالد: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: ((أول القضاء ما في كتاب الله عز وجل، ثم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ما اجمع عليه الصالحون، فإن لم يوجد ذلك في كتاب الله تعالى ولا في السنة ولا فيما أجمع عليه الصالحون اجتهد الإمام في ذلك لا يألو احتياطاً، واعتبر، وقاس الأمور بعضها ببعضٍ؛ فإذا تبين له الحق أمضاه، ولقاضي المسلمين من ذلك ما لإمامهم)) المسند ص٢٦١.

[عند الاختلاف في الرواية]:

وقال محمد في (كتاب الجملة): وإذا اختلف أهل العلم في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحلال والحرام، نظر في المعنى الذي اختلف فيه هل له أصل في القرآن؟ فإن أصاب له أهل العلم أصلاً في القرآن ردوا المعنى إلى الأصل الذي في القرآن فإن كان موافقاً له، أو قريباً منه، أو هو أشبه من غيره في القرآن، عمل بالذي هو أشبه من غيره بالقرآن، فإن لم يعرفوا له أصلاً في القرآن نظروا فيمن حمل ذلك المعنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواها إسناداً، وأثبتها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعمل بذلك، فإن لم يعرفوا فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصلاً ثبتت به حجة، وكان الاختلاف في ذلك بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نظر في أعلم أصحاب رسول الله بالكتاب والسنة، والحلال والحرام، وأتقاهم لله وأولاهم، أن يجعلوه بينهم وبين الله تبارك وتعالى، فعمل بما صح عنه في ذلك المعنى، فإن حدثت حادثة لم يجدوا لها أصلاً في القرآن، ولا خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تثبت به حجة، عمل فيها بمثل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ، ومثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي -عليه السلام- في هذه المسألة يكون شورى بين العابدين من المؤمنين، فإن اختلف أهل العلم الموثوق بهم في حادثة، أخذ بأحوط الأمور وأبعدها من الشبهات؛

لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((**دع ما يريبك إلا ما لا يريبك**))[1].

وقال محمد في (كتاب أحمد): بلغنا عن علي -صلى الله عليه - أنه قال: «ما ورد عليَّ أمران كلاهما لله رضاً إلا أخذت بأشدهما على بدني وأبعدها من هواي».

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((**الحلال بين والحرام بين وبينهما شبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا إن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه**))[2].

[تقديم رواية الآل على غيرهم]:

قال محمد: سمعت أبا الطاهر أحمد بن عيسى يقول: إذا سمعت بحديثين وثبت عندي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحديث عن علي -صلى الله عليه - أخذت بالحديث الذي عن علي صلى الله عليه

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ج٥ص١١٧.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٨٣.

وآله وسلم؛ لأنه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

قال الحسن بن يحيى: وإذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر فرواه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غير ما روته الأمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت الحجة فيما رواه آل رسول الله، وأثبتوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الرواية عن أمير المؤمنين، إذا روت الأمة عنه خلاف ما روى خيار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الحجة وصحة النقل ما رواه علماء آل رسول الله عن أمير المؤمنين، فإذا اختلفت الأمة بعد أمير المؤمنين في الأحكام، في الحلال والحرام والسنن، كان ما صح عن علماء آل رسول الله أوجب أن يؤخذ به، وترك ما سواه، وبذلك أمروا ان يتمسكوا بهم عند الاختلاف والتفرق، فإن جاء عن أبرار العترة ما تختلف الرواية فيه في النقل والأخبار أخذنا من ذلك بأوثق ما جاءنا عنهم وأحوطه للدين وأبعده من الشبهة، فإن حدثت حادثة لم يبلغنا عنهم فيها خبر كان ذلك شورى بين العابدين من المؤمنين، فإذا اجتمعوا على أمرٍ عمل به، وإن اختلفوا أخذ في ذلك بالاحتياط فيما حدث بأشق الأمرين على الأبدان، وأبعده من الهوى، وكذلك سمعنا عن النبي

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج١ ص٢٣٨.

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**)) وسمعنا عن أمير المؤمنين -صلى الله عليه - أنه قال: «ما ورد عليَّ أمران كلاهما لله رضاً إلا أخذت بأشقهما على نفسي وأبعدهما من هواي»، فهذا موضع الحجة والصواب عند اختلاف الأمة وافتراقها.

[الفرقة والاختلاف]

وقال أحمد بن عيسى فيما حدثنا علي، عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد عنه، وذكر اختلاف الناس وتفرقهم في الدين فقال: إني لخائف على إمام لو قام فإنه إن ذهب يوهم كل فرقة أنهم على حق كان أول من يهلك نفسه، وإن سار إلى فرقة أفسد الباقين على نفسه[1].

[تعامل فضلاء السلف فيما بينهم في الاختلاف]:

وقال محمد في (كتاب الجملة): وذكر اختلاف الناس وإكفار بعضهم بعضاً وإقدام بعضهم على بعض بالبراءة والتضليل، فقال: رأيت المتفرقين وعاشرت المختلفين في المقالات من الخاصة والعامة، من علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الفضل منهم، وغيرهم من أهل العلم والفضل من الشيعة الموجبين لإنكار المنكر، وحياطة الدين، فما رأيتهم يكفر بعضهم بعضاً، ولا يستحلون ذلك، ولا يبرء بعضهم من بعض، بل قد رأيت بعضهم يتولى بعضاً، ويترحم عليه بعد المعرفة منه بمخالفة بعضهم لبعض في المقالات، سمعت القاسم بن إبراهيم وذكر أخاه محمد بن إبراهيم فقال: -رحمة الله عليه ورضوانه- إني لأرجو أن

---

(١) غاية الحس والمسؤولية على الأمة ووحدتها.

يكون له يوم القيامة موقف يغبط به على أنه كان يقول بشيء من التشبيه[1]، وذلك عندهم أنه لا يقول بخلق القرآن، وكان يكثر الترحم عليه ما لا أحصيه، ورثاه بأبيات كتبتها عنه، ومن ذلك أن عبد الله بن موسى ذاكرته هذا الأمر وذكرت له القاسم بن إبراهيم، فقال عبد الله: وددت أنه فعل حتى أكون أول من وضع يدهُ في يدهِ.

قال عبد الله: وقد بلغني أنه يقول بخلق القرآن، ولم أسمع منه.

قال محمد: وحضرت عبد الله بن موسى -عليه السلام- وجماعة من أهل بيته مجتمعين عند القاسم بن إبراهيم في منزله فتذاكروا هذا الأمر، وكان منهم فيه جد أين يكون وكيف التأني له، وكان القاسم أشدهم فيه ذكراً، وكانوا يومون إلى عبدالله بن موسى فقال عبد الله بن موسى: أنا ليس في شيء قد ضعفت عنه، ولكن من يقوم بهذا وهذه يدي له، وكأنه أومى إلى القاسم بن إبراهيم.

قال محمد بن منصور: فكل واحدٍ منهما يتولى صاحبه ويدين له بالطاعة، ويؤهله لهذا الأمر الذي ليس فوقه غاية من تقليد الأحكام، والحلال والحرام، والدماء والمواريث، وهذه غاية الولاية أن جعله بينه وبين

---

(١) سبق ذكر إجماع الآل على نفي التشبيه!.

الله في دينه، يحل به ويحرم، يحل به الجمعة ركعتين ويحرم به الظهر أربعاً في وقت الجمعة.

قال محمد: وسمعت القاسم بن إبراهيم يقول: ما رأيت كلامياً قط له خشوع[1]، ثم قال: الجمل الجمل.

[ما يلزم الأئمة في الدعوة]:

قال محمد في (كتاب الجملة): وأخبرني من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن محمد بن عبد الله أنه أوجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الديانين، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين، وغلق الأبواب التي في فتح مثلها يكون عليهم التلف، والإمساك عما شتت الكلمة، وفرق الجماعة، وأغرى بين الناس فيما اختلفوا فيه وصاروا به إخواناً، والدعاء لطبقات الناس من حيث يعقلون إلى السبيل التي لا ينكرون وبه يؤلفون، فيتولى بعضهم بعضاً، ويدينون بذلك، فإن اجتماعهم عليه اثبات للحق وإزالة للباطل.

---

(١) مبالغاً في الكلام لا معتدلاً؛ لأن الإمام القاسم متكلماً وسيد الخاشعين.

قال محمد: وكذلك سمعنا عن إبراهيم بن عبد الله أنه سئل عن بعض ما يختلف الناس فيه من المذاهب فلم يجب فيه، وقال: أعينوني على ما اجتمعنا عليه حتى نتفرغ لما اختلفنا فيه.

حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا محمد بن منصور، قال: قال لي القاسم بن إبراهيم: أخبرني بعض من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبدالله بن الحسن أنه قال: يجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الناس، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين، وذكر مثل هذا الكلام.

وقال أبو جعفر محمد بن علي -عليه السلام-: ألزم ما اجتمع عليه المتفرقون.

[الاكتفاء بجمل الإسلام]:

قال محمد: فاكتف بما لا خلاف فيه ولا فرقة من الجملة التي دل عليها الكتاب، وما أُجمع عليه من الخبر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن المحنة عندنا في القرآن بدعة.

وأما من يقول إن الله لم يكلم موسى تكليماً فإن هذا راد لتنزيل القرآن، بل نقول كما قال الله عز وجل: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء:١٦٤] على معنى ما أراد، لسنا نكيف ذلك، وقد علمنا أن الكلام من الله على وجوه شتى، وكذلك الوحي منه على وجوه شتى، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[الشورى:٥١] فهذه حالات الأنبياء، وقوله: ﴿**إِلَّا وَحْيًا**﴾ في النوم، وكذلك كان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس سنين إنما يرى في النوم الوحي، ثم ظهر له جبريل بعد ذلك.

وأما قوله: ﴿**أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ فكما كلم موسى -عليه السلام-.

وأما قوله: ﴿**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا**﴾ فهو جبريل -عليه السلام-.

وقال محمد وقد سئل عن قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[يس:٨٢] فقال: نقول في ذلك ما قال الله ولا نكيفه، ويقال والله أعلم: أن لوحاً بين عيني إسرافيل فإذا أراد الله أمراً قرأه إسرافيل في ذلك اللوح.

[سماع العلم من أهل الخلاف]:

قال الحسن: وسألت عن سماع العلم من أهل الخلاف وذكرت أن أقواماً يكرهون ذلك، فالجواب في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم قد بلّغ ما أمر به، وعلم أمته ما فرض الله عليهم وما سنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، ولم يقبض إلا عن كمال الدين، فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منقسمة عند من سمعها من أصحابه، فمنهم من حفظ، ومنهم من قدم وأخر ونسي وغفل، ومنهم من بدل وغير وزاد ونقص، وقد ثبتت الحجة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمته أنه بلغ إليهم ما أمر به، ودلهم على من يحفظ ما نسوا، ويعلم ما جهلوا، وأمرهم بالتمسك به عند اختلافهم، والاتباع له عند تفرقهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت مع الحق والحق معك**))[1] ثم أعلمهم بموضع الحق والهدى بعد أمير المؤمنين -عليه السلام- بالدلالة على عترته فما روت العامة من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشهورة، المتسق بها الخبر عن غير تواطئ أخذت، وحملت من كل من يؤديها إذا كان يحسن التأدية لها، مأموناً على الصدق فيها، وما جاء من الآثار التي تخالف ما مضى عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك من ذلك ما خالفهم وأخذ ما وافقهم، ولم نضيق سماع ذلك من كل من نقله من أهل الخلاف، إذا كان يعرف بالصدق على

(١) مناقب علي لابن المغازلي ص٣٠٥.

هذا التمييز، ولا خير في السماع من أهل الخلاف، إذا لم يكن مع المستمع تمييز على ما ذكرنا[1].

وسألت عن كتاب العلم بأجرٍ؟ فإن كان فيه اختلاف فإن ذلك عندنا جائز أن يكتبه لمن يعرفه، ويدين منه لاتباع أهل الحق، ولا بأس بالأجرة على ذلك، فأما من يكتب له الاختلاف، ويدين في ذلك بغير مذهب أهل الحق، فأكره الكتاب لذلك والأجرة عليه.

[الامتناع عن الإجابة لمن يعلم]:

قال: وسألت عمن سمع شيئاً من العلم؟ وسئل عنه أيحل له أن يمنعه؟

فالجواب عندنا: أنه يجب على من عنده علم ولو حديث واحد أن يعلمه من يطلبه منه إذا كان موضعاً لذلك وينبغي للعالم أن لا يعطي العلم غير أهله، وعلى العالم إذا علم أن يعلم، وعلى من لا يعلم أن يتعلم، قال الله عز وجل: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾[آل

---

(١) قال الإمام المرتضى محمد: «فما كان من تفسيرهم مصيباً للحق قُبل، وما كان مما يهرجون به ويخبلون معانيه، ويأتون بغير تفسيره، لم ينظر إليه، ولم يؤخذ به» مجموع الكتب والرسائل ج١ص٢٨٥.

عمران:١٨٧] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**من كتم علماً أُلجم بلجام من نار يوم القيامة**))[١].

وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**أربع يجبن على كل ذي حجا وعقل من أمتي، استماع العلم وحفظه، والعمل به ونشره**))[٢] فهذا يجب على أهل العلم.

[وجوب التعلم]:

وأما المتعلم فقد أوجب الله عليه إذا لم يعلم أن يتعلم، قال الله عز وجل: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[النحل:٤٣] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))[٣] فعلى الناس أن يعنوا بدينهم، وإنما الناس عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك.

[مزاعم الغُلاة والرد عليها]:

قال محمد في (كتاب أحمد)[٤]: حدثني علي بن أحمد عن أبيه، عن حسين بن علوان، عن أبي خالد قال: كنا عند أبي جعفر -عليه السلام-

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج١١ ص٥.

(٢) لم أجد له مصدر فيما لدي.

(٣) سنن ابن ماجه ج١ ص٨١.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣٠٦.

فقال له سعد الأنصاري: يا ابن رسول الله إن قوماً يأتونا من قبل المشرق فيحدثونا بأحاديث، فإما قوم ضللنا وإما قوم كتمنا، والحجة على من كتمنا، فقال: كيف؟ قلت: يا سعد، فرد عليه المسألة، فقال: ما هي يا سعد؟ قال: هو أعظم من أن أواجهك به، فقال: عزمت عليك لما جئت به، فقال: يزعم قوم أنك تعرف شيعة آل محمد بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء عشائرهم فيزعم قوم أنك تركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء فتصلي بهم بالكوفة الجمعة ثم تروح إلينا بالمدينة، ويزعم قوم أنكم سترجعون أنتم وعدوكم إلى الدنيا فتقتصون منهم ما أتوه إليكم قبل الآخرة؟

قال: أما قولك أني أعرف شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم فليس لي باب سوى هذا الباب، وفيه يكون أهلي ووالله ما أدري من يدخل إليهم، ومن يخرج من عندهم، ولا ما يتحدثون به فكيف أعلم ما هو ناءٍ عني، وأما قولك أني أركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء فأصلي بالكوفة ثم أروح إلى المدينة، والله ما رأيت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط، ولا رأيت الكوفة في نوم ولا يقظة قط، وأما قولك أنا نرجع نحن وعدونا إلى الدنيا فنقتص منهم ما أتوا إلينا قبل الآخرة فكفى بعقوبة الآخرة نكالاً، والله لو نعلم ذلك ما سكنا مساكنهم، ولا خلفنا على نسائهم، ولا اقتسمنا مواريثهم، ولا نكحنا نساءهم غرايب في غيرنا، ووالله إن كانت وصية

الحسن للحسين -صلى الله عليهما- أن قال له: تحتي ثلاث نسوة، فقد رضيت لك تبعلهن فاخلف عليهن، فخلف على امرأتين منهنَّ وأبت الثالثة فقالت: علي ألا يجتمع رأسي بعد الحسن ورأس أحدٍ أبداً، ويحك يا سعد فإذا رجع الحسن والحسين- صلى الله عليهما- لأيهما يكونان، إذاً أرأيت أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر، ثم خلف عليها أبو بكر بعد جعفر، ثم خلف عليها علي -صلى الله عليه- فإذا رجع القوم فلأي الثلاثة تكون إذاً!؟.

[إحسان الظن]:

وأخبرنا محمد بن علي بن أبي الجراح، قال أخبرنا أبي، قال حدثنا إسحاق بن محمد، قال حدثني حمدان بن علي بن أيوب، قال أخبرني بنين العطار، قال: قدم رجل كان يقدم على أحمد بن عيسى من أصحاب الكلام فيناظره، قال فقدم البصرة وهو مريض فقمت عليه فلم يزل عندي عليلاً حتى مات، وكتبت إلى أحمد بن عيسى أنه قدم علي فلان وأنه لم يزل عندي عليلاً حتى مات، وكنت أفعل به وأفعل حتى مات -رحمه الله وغفر له ورضي عنه-، قال: فكتب إليَّ أحمد: أما قولك إني قمت عليه وفعلت به فلعمري أن هذا يجب، وأما قولك -رحمه الله وغفر له ورضي عنه- فإنما أردت بذلك ترضيني أن الرجل كان يلقاني فيناظرني، وكنت أملُه فلما مات انقطعت عصمته، قال: وكان الرجل يقول القرآن مخلوق.

[الفرقة الناجية]:

قال الحسن بن يحيى: سألت عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار**)) وما مذهب هذه الفرقة الناجية؟ فإن الفرقة الناجية هذه الفرقة التي اتبعت كتاب ربها وسنة نبيها، وتمكست بعلي بن أبي طالب وبأهل بيت نبيها المتمسكين بكتاب ربهم العاملين به، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، الذين افترض الله على أهل الإسلام مودتهم ولا يقبل الإسلام إلا بمودتهم، وافترض على أهل الإسلام أن يبذلوا أنفسهم ودمائهم، ويقاتلوا على الأفياء والأخماس، وأن يؤدوا إليهم حقهم الذي فرض الله لهم الذي لا يتم الإيمان إلا بأدائه إليهم، فخير الفرق الفرقة المسلمة التي تود أهل بيت نبيها، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتبذل أموالها وأنفسها دونهم، وتنتظر أمرهم، فإذا قام منهم قائم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر نصروه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم وأعانوه على ما استعانهم عليه من إقامة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهم الذين شهد الله لهم في الكتاب فقال: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران:١١٠] مع آي كثيرة في كتاب الله شهد الله لهم فيهن أنه فضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً، فعليك رحمك الله بهذه الفرقة فإنها الناجية والمتمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها.

وأما سائر الفرق التي خالفت هذه الفرقة من الأصناف المنتحلة للتشيع والارجاء، نسأل الله العصمة والتوفيق.

قال محمد: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية**)).

وبلغنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الفرقة الناجية فقال: هي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، وقد بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي**)) فعلي بن أبي طالب كان متمسكاً بالكتاب.

وقد سئل علي بن أبي طالب صلى الله عليه عن الفرقة الناجية فقال: «أنا ومن اتبعني وسائر الناس منها برآ».

[أسباب الاختلاف]:

قال الحسن بن يحيى: وسألت من أين نجم الاختلاف-يعني من أين بدأ-، فإن أول ما نجم من الاختلاف أن قعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لا يستحق مجلسه ولا يعرف الحكم الذي أنزل الله في كتابه، ودفع عن مجلس الحكم من أمر الله ورسوله بطاعته واتباعه، ومن ذلك أن الجاهل بحكم الله ورسوله المتقلد لما لم يأذن الله له من مقعد رسول

الله حملة الجهل وحب الرئاسة على أن أباح الديانة بالرأي، والحكم بخلاف ما أنزل الله، فاتخذ الناس الرأي ديناً، وتركوا الأخذ بكتاب ربهم، واتباع أهل بيت نبيهم وسنة نبيهم، الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلو أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وإنهما الخليفتان من بعدي**)) فلما لم يتمسكوا بهم اختلفوا وضلو ضلالاً بعيدا.

[التأويل المبني على الهوى وأثره]:

قال الحسن: وإنما ادعى المخالفون لآل محمد أن التأويل مطلق ليجيزوا لمن تقدم على علي، ولمن نصب له حرباً من أهل الجمل وصفين والحرورية أن لهم أن يتأولوا على عليَّ أمير المؤمنين -صلى الله عليه- وأن دمه لهم حلال بالتأويل، وهذا هو الأصل الذي جحدوا به علياً -عليه السلام- حقه، وأجازوا لأنفسهم إزالته عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال: إنما عاند أهل الخلاف المجرمون علياً وأهل بيته من بعده؛ لأنهم زعموا أن الله أطلق لهم أن يتأولوا القرآن برأيهم على أهوائهم، وتأولوا الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم إن أخطأوا كان لهم أجر، وإن أصابوا كان لهم أجران، وكذبوا لقد أنزل الله كتابه على نبيه وعلمه تأويله فمن تأول القرآن بعير التأويل الذي علمه

جبريل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقد ضل ضلالاً بعيداً، قال الله عز وجل: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ**﴾[يونس:٥٩] وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾[النحل:١١٦] ثم حرم ذلك أيضاً فقال تعالى لنبيه -عليه السلام-: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٣]، ثم نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن التكليف وأن يقول على الله ما لا يعلم، فقال: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾[ص:٨٦] وقال: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:٣٦] وقال: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[الأعراف:٣].

[مسائل فقهية متفرقة]

[ما يحل من النساء]:

وحدثني أحمد بن عيسى قال: حدثني حاضر بن إبراهيم عن حسين بن زيد قال: يحل من النساء ثلاث: امرأة ترث، وامرأة لا ترث، وملك اليمين، فقلت لأحمد بن عيسى: الامرأة التي لا ترث هي اليهودية والنصرانية نكاحهما حلال ولا يرثان؟ قال: هو وجهه[1].

قال الحسني -رضي الله عنه-: الوجه في هذا الخبر أن التي لا ترث الزوجة الأمة؛ لأن نكاحها حلال بإجماع الأمة، وهي لا ترث.

[تحريم المتعة]:

قال محمد: سألت أحمد بن عيسى -عليه السلام- عن المتعة فلم يرها[2].

قال محمد [في كتاب أحمد][1]: وحدثني جعفر، عن القاسم بن إبراهيم لا يحل نكاح المتعة؛ لأن المتعة إنما كانت في سفرٍ كان فيه النبي صلى

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٢.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٤.

الله عليه وآله وسلم، ثم حرم الله عز وجل ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد روي عن علي -صلى الله عليه - بما قد صح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها.

وأما من يحتج بهذه الآية ممن يستحل الفاحشة من الفرقة المارقة في قول الله سبحانه: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾[النساء:٢٤] والاستمتاع هو الدخول بهن على وجه النكاح الصحيح، وإيتاؤهن أجورهن هو أعطاؤهن مهورهن إلا ما وهبن بطيب أنفسهن، والتراضي فهو التعاطي، ولا يجوز النكاح إلا بولي وشاهدين؛ لأن في ذلك ترك ما بين الله فيه، وبخروج النساء من أيدي الأولياء، وإبطال ما جعل الله للأولياء فيهن، وما حكم به الأولياء عليهن، ألا تسمع كيف يقول لا شريك له: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ**﴾[النور:٣٢] وقال: ﴿**وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾[البقرة:٢٢١] وقال: ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ**﴾[البقرة:٢٣٢] فلو كان الأمر في ذلك إليهن بطل الأمر في هذه كله من أيدي الرجال، ولخرج من أيدي الأولياء أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وحرماتهم، ولقد كان هذا ومثله في الجاهلية الجهلاء، وإنه ليستعظم وتراق فيه بين الناس كثير من الدماء، ويكون فيه فساد عظيم بين الأولياء من

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٤-١٥.

الرجال والنساء، فكيف في الإسلام الذي جعله الله يصلح ولا يفسد، ويؤكد الحقوق بين أهلها ويشددها، ولقد أدركنا مشائخنا من أهل البيت وما يرى هذا منهم أحد حتى كان بآخره إحداث سفهاء رووا الزور والكذب، وقد حدثني إسماعيل بن أبي أويس، عن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن أبيه، عن جده، عن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((**لا نكاح إلا بولي وشاهدين**)) وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن نكاح السر، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((**أشيدوا النكاح**)) قال محمد: يعني أظهروه.

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كراهية المتعة والنهي عنها، وقالوا: إنما كانت أطلقت في سفرٍ ثم نهى رسول الله عنها وحرمها، وقالوا: نسختها العدة والمواريث، وأجمعوا على أنه لا نكاح إلا بولي وشاهدين وصداق، بلا شرط في النكاح.

وروى محمد في (كتاب المتعة) بأسانيده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي -صلى الله عليه- قال: ((**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر**))[1].

---

(١) مسند الإمام زيد بن علي ص٢٧١.

وعن الحسن، وعبد الله ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي أنه قال لابن عباس وهو يفتي في المتعة: «أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر»[1].

وعن ابن عباس أنه رجع عن متعة النساء، وقال: «هي حرام مثل الميتة والدم، ولحم الخنزير»[2].

وعن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قضينا عمرتنا قال: ((**استمتعوا من هذه النساء**)) والاستمتاع يومئذٍ عندنا التزويج، قال فعرضنا ذلك على النساء فأبين إلا أن نضرب بيننا وبينهنَّ أجلاً، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((**اجعلوا**)) فخرجت أنا وابن عم لي معي برد ومعه برد أجود من بردي وأنا أشب سناً فأتينا امرأة فعرضنا ذلك عليها فأعجبها برد ابن عمي فقالت: برد كبرد فتزوجتها، وكان الأجل بيني وبينها عشراً فبت عندها تلك الليلة، ثم أصبحت غادياً إلى المسجد وإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحجر والباب قائماً يخطب، وهو يقول: ((**يا أيها الناس**

---

(١) صحيح البخاري ج٥ص١٣٥.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٣.

إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من هذه النساء، ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده من ذلك شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً))[1].

وعن الربيع بن سبرة عن أبيه قال: ((**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن متعة النساء عام خيبر**))[2].

وعن الحسن البصري قال: ((**أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمتعة بعد الحديبية بعام فأمر بها ثلاثة أيام، ثم حرمها فلم تحل لأحدٍ قبل ولا بعد**))[3].

وعن ابن عمر قال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المتعة يوم خيبر وقال: ((**هي حرام**))، وما كنا مسافحين[4].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٢.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١.

(٣) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٢.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١.

وعن كعب بن مالك قال: ((**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المتعة في غزوة خيبر**))[1].

وعن زيد بن علي -عليه السلام- قال: «المتعة مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير»[2].

وعن عبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله، وعن جعفر بن محمد -عليهم السلام- أنهم نهوا عن المتعة.

وعن عمر قال: نسخت آيَةَ المتعةِ العدةُ والمواريث، وعن ابن المسيب نحو ذلك.

وعن ابن عباس وعائشة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا نكاح إلا بولي**))[3].

وعن علي وأبي جعفر، وزيد بن علي -عليهم السلام- مثل ذلك[4].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٣.

(٣) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٦، ١٨.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص ١٨.

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**)).

وعن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك.

وعن زيد بن علي، عن آبائه -عليهم السلام-، عن علي -صلى الله عليه- قال: «لا نكاح إلا بولي وشاهدين، ليس بالدرهم ولا الدرهمين، ولا اليوم ولا اليومين، شبه السفاح ولا شرط في النكاح»[1].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا تنكح المرأة إلا بولي أو بإذن ولي، فإن نكحت فهو باطل فإن نكحت فهو باطل فإن نكحت فهو باطل**)).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((**لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها لا تفعل ذلك إلا زانية**))[2].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٧.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١٦ بدون (لا تفعل ذلك إلا زانية).

قال محمد: فهذه الآثار التي رويناها في كتابنا هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أصحابه والعلماء من أهله والتابعين بعده، تدل على تحريم المتعة، ويوضح نسخها عند من وطن العلم، أو نصح نفسه، وهي آثار معروفة مشهورة عند أهل العلم والرواية، لآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخباره، مع ما يدل على فسادها وتبين إبطالها من كتاب الله عز وجل وأحكامه، وبالله التوفيق، قال الله عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[المؤمنون:٧] فأحل الله سبحانه الفروج من هاتين الجهتين لا من غيرهما، وهما التزويج على شرط الله تعالى في كتابه وأوجب فيه من أحكامه، وملك اليمين، وأمر بحفظ الفروج عما سواهما، وقال لا شريك له: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[المؤمنون:٧] يعني يعدون الحلال إلى الحرام، فيقال لمن أجاز المتعة على ما ذكروا من شروطها هل يحل فرج إلا بتزويج أو ملك يمين، فإن قال أحد لا يحل فرج إلا من إحدى هاتين الجهتين التزويج وملك اليمين، قيل له: فما تقول في المتعة: أي الجهتين هي؟ فإن قال: التزويج، قيل له: فقد أوجبت لها وعليها ما حكم الله في كتابه بين الرجل وامرأته إذ يقول الله سبحانه: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ**﴾[النساء:١٢] وقال: ﴿**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا**

﴿تَرَكْتُمْ﴾[النساء:١٢] فيجب على من أجاب بهذا الجواب عند ابتداء مسألتنا إياه وقال في المتعة تزويج، أن يقول في رجل تزوج امرأته متعة، ثم توفي أحدهما في وقتها أن الباقي منهما وارث من صاحبه سهمه الذي فرض الله للزوج من الزوجة، وللزوجة من الزوج في كتابه إذا كانا حرين مسلمين، ليس بينهما علة مانعة لهما أو لأحدهما من أحكام الحر المسلم مع صاحبه.

ويقال له أيضاً: ما تقول في رجل تزوج امرأة متعة ثم آلى منها هل يكون مولياً وهل يكون له ما فسح الله من الوقت، فإن قال نعم هو مولٍ، قيل له: فإن امرأة المولي موقوفة بين حكمين الفيء أو الطلاق، وبذلك حكم الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٧] فهل تقول بذلك، فإن فاء إليها فهي زوجته، وإن عزم الطلاق لزم طلاقه، فإن قال نعم بذلك أقول فقد خرج عن المتعة وصفاتها، وصار إلى شروط النكاح وأحكامه، وإن قال لا يكون مولياً قيل له: فهل يخل من أحد معنيين لا يحل الفرج إلا منهما أو من أحدهما تزويج أو ملك يمين، فإن كانت زوجة فقد لزمها الإيلاء وأحكامه، يقول الله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾[البقرة:٢٢٦] وقد أوجبت أنها من نساء الحالف فإيلاؤه لازم لها واجب عليها، وإن لم تكن زوجة فينبغي ألا تحل لمتزوجها بمتعة لأنها ليست له بملك يمين، وقد أمر الله تعالى بحفظ

الفروج عن غير هاتين الجهتين فقال: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾[المؤمنون:٦] ويقال له: ما تقول في رجل تزوج امرأة متعة ثم ظاهر منها هل يكون مظاهراً وهل يلزمه حكم الظهار؟

فإن قال: هو مظاهر فقد أثبت لها شروط الزوجة من الميراث والطلاق والعدة وغير ذلك مما يثبت به الظهار، وإن قال: لا يلزمها ظهاره فقد نفى أن تكون زوجة لقوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ**﴾[المجادلة:٢] ويقال لهم: قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾[المؤمنون:٦] أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة هل حفظ فرجه إلا على زوجة أو ملك يمين كما أمره الله عز وجل؟ أو هل تعدى ذلك إلى غيره؟ فإن قالوا: لم يعد زوجه إلى غيرها وقد حفظ فرجه كما أمره الله تعالى، قيل لهم: فقد نفيتم عنها ما تقولون به في المتعة وأحكامها من بينونتها في الوقت عند وفاء الأيام بلا طلاق، ومن أن لا ميراث لواحدٍ منهما من صاحبه عند وفاته، وأثبتم لها أحكام الزوجة من الميراث والطلاق، والظهار والإيلاء، واللعان والخلع، وغير ذلك، فإن الله يقول: ﴿**وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ**﴾[النساء:١٢] ويقول: ﴿**وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ**﴾[النساء:١٢] ويقول لا شريك له:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ إلى قوله: لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[الطلاق:١] يعني الرجعة، وقال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾[البقرة:٢٣١] كان الرجل يطلق المرأة فإذا دخلت في الحيضة الثالثة راجعها ثم يطلقها ليحبسها عن الأزواج، والمتزوجة متعة ليست في شيء من هذه الأحكام، وقال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ الآية [المجادلة:٢] وقال: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ إلى قوله: وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٦-٢٢٧] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾[النور:٦] إلى آخر الآيات لتمام اللعان.

أفرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ثم قذفها في وقت قبل انقضاء شرطه هل يكون قاذفاً لزوجته فيلاعنها لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهَّ﴾[النور:٦] أو هل يكون قاذفاً لغير زوجه فيضرب حد القاذف، فإن الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور:٤] أرأيتم إن تزوجها متعة إلى أجل معروف فجاءت بولد قبل انقضاء الأجل فنفاه هل يلاعن؟

فإن قالوا: نعم يلاعن، فقد أثبتوا أنها زوجة وأقروا بأحكامها، وإن قالوا: لا لعان بينهما فقد نفوا أن تكون زوجته لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

﴿يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ إلى آخر الآيات، وقال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾[النساء:٣٥] وذلك فيما حكم الله به بين الرجل وزوجته في الخلع، أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ثم نشزت عليه في الوقت هل توجبون بينهما ما أوجب الله من أخذ الفداء وفرقة الحكم أو الصلح على ما أمر الله به؟ فإن أوجبتم ذلك لهما فقد قضيتم لهما بأحكام الزوجة، وأبطلتم شروط المتعة، فإن قالوا: هي زوجة على الصفة والشرط الذي شرطوا من أن لا ميراث بينهما، وأنها تبين عند انقضاء الوقت من عدد الأيام بلا طلاق، قيل لهم: قد أقررتم أنها زوجة، وادعيتم لها شروطاً وأحكاماً خلاف شروط القرآن وأحكامه للزوجة، وليست لكم بذلك حجة، فشروط القرآن وأحكامه للزوجة أولى أن يدان بها، ويحكم من شروطكم وأحكامكم، فإن قالوا: قد اجتمعنا نحن وأنتم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة وأمر بها، ثم ادعيتم أنتم بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم حرمها فما اجتمعنا عليه من تحليلها أولى أن ندين به مما اختلفنا وتفردتم به من تحريمها، قيل لهم: إنا لا نجتمع معكم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة من الجهة التي تدينون بها في التحليل، وذلك أنكم تزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة في أمته إحلالاً عاماً مطلقاً، ونحن نقول: إنما أحلها صلى الله عليه وآله وسلم لنفرٍ من أصحابه أياماً معلومة، فقد اختلفنا نحن وأنتم في جهة تحليلها، ولم نجتمع منه على صفة أمرٍ واحدٍ، فإنما تجب

هذه الحجة التي ذكرتم من الإجماع عليكم؛ لأنكم قد اجتمعتم معنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحلها لنفرٍ من أصحابه في الثلاثة الأيام التي روينا، ثم ادعيتم أنها حل إلى وقتنا هذا فتفردتم بالزيادة بالدعوى على ما أقررتم به مما اجتمعنا نحن وأنتم عليه، فأجمعنا على أنها حل في تلك الأيام أولى أن ندين به مما اختلفنا فيه بعد ذلك، ويقال لهم: أخبرونا عما اختلف فيه من الأحكام هل يرد الإختلاف فيه إلا إلى جهات أصوله من تحليل أو تحريم، فإن قالوا كذلك نقول، قيل لهم: أرأيتم لو لم يأتِ خبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإحلال المتعة فتزوج رجل امرأة متعة ألم يكن نكاحه باطلاً؟ لأن الله سبحانه أمر بحفظ الفرج إلا عن زوجة أو ملك يمين، ثم قال: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[المؤمنون:٧] يعني تعدوا الحلال إلى الحرام، فلما كانت المتعة في قولنا وقولكم لو لم يأتِ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حراماً، ثم اختلفنا نحن وأنتم في تحليلها لم يثبت من المتعة إلا ما اجتمعنا عليه، وعدنا إلى الأصل في حكمها، ويقال لمن أجاز نكاح المتعة: أرأيت رجلاً تزوج امرأة متعة وتحته أربع نسوة أيحل له أن يطأها؟ فإن قال نعم، قيل له: قد أوجبت على نفسك تحريم المتعة بقولك له أن يطأها؛ لأنها إن كانت زوجة فقد حرم الله نكاحها بعد الأربع، وإن لم تكن له زوجة فقد حرم الله عليه أن ينكح غير زوجه إلا ما ملكت يمينه، وهذه ليست بملك يمين فتحل له، وقد حرم الله تعالى عليه أن يتعدى الزوجة أو ملك اليمين إلى غيرهما فقال: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ**

﴿ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[المؤمنون:٧] ويقال له: ما تقول في رجل تزوج أخت امرأته متعة أتحل له؟ فإن قال: لا تحل له، فقد أقر بأنها زوجة وأبطل المتعة وأوجب لها أحكام الزوجة، وإن قال تحل له فقد أقر في تحليله بتحريمها؛ لأن الله تعالى لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين، وليست بملك يمين، وقد حرم الله تزويج الأخت على أختها فكيف يجوز لرجل أن يطأ امرأته وأختها تحته، أرأيت رجلاً تزوج أم امرأته متعة أو بنت امرأته وقد دخل بها، أو امرأة ابنه أو امرأة أبيه ثم يحتج عليه بما وصفنا في هذا الباب، ويقال له أيضاً بأي الجوابين أجاب من تحليلها أو تحريمها أنت في تحليلك إياها له محل له ما حرم الله عليه؛ لأن الله قد حرم هذا في النكاح، فإن قال: ليس المتعة بنكاح فيجب فيها أحكامه قيل له: فقد أحللت له أيضاً بجوابك هذا ما حرم الله عليه؛ لأن الله لم يحل له إلا فرج زوجة أو ملك يمين، وقد أقررت أن المتعة ليس بنكاح فقد حرمتها في قولك، وإن أجاب بتحريمها عليه قيل له: هل حرمتها لأنها زوجة أو غير زوجة؟ فإن قال: لأنها زوجة فقد ترك قوله في المتعة ونفى ما يقولون فيها فأوجب لها أحكام النكاح وشروطه من الميراث والطلاق واللعان والظهار وغير ذلك، وإن قال حرمتها عليه لأنها ليست بزوجة، قيل له: فأنت في تحليل المتعة محل ما حرم الله؛ لأن الله لم يحل إلا الزوجة وملك يمين.

ويقال له: أرأيت رجلاً تزوج امرأة متعة أياماً معلومة بدراهم معلومة فمات الزوج في تلك الأيام قبل انقضاء الأجل ولم يدخل بها، أيكون لها المهر الذي سماه لها أو لا مهر لها عليه؟ فإن قال: لها المهر، قيل له: قد أقررت أنها زوجة بإيجابك لها المهر فلها الميراث منه وعليها العدة، وإنما مهر المرأة من زوجها أجرها منه، وهو صداقها وإن قال لا مهر لها عليه قيل له لِمْ؟ لأنها ليست بزوجة، فإن أجاب إلى ذلك فقد أقر بتحريمها؛ لأن الله تعالى لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين، ويقال له: لِمَ أبطلت مهرها عند إصداق هو وجب بتزويج أو أجرٍ وجب بإجارة، فإن قال صداق وجب بتزويج فقد أقر به لها عليه، وأوجب لها جميع أحكام الزوجية من الميراث والعدة وغير ذلك، وإن قال أجر وجب بالإجارة وليس بصداق تزويج، قيل له: فقد أوجبت على نفسك تحريم المتعة إذا أقررت أنه غير تزويج والله عز وجل لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين، والأمة مجمعة أن الفروج لا يحل إجارتها إلا من جهة النكاح والتزويج، وكيف يحل فرج بغير نكاح ولا ملك يمين، أرأيت رجلاً استأجر امرأة على أن ينظر إلى فرجها من غير جماع أياماً مسماة أيحل ذلك له، فإن كان هذا لا يحل فهل يحل إذا شرط معه الجماع أشد من هذا وأحرم، أرأيت إن شرط مع النظر المباشرة هل يحل له ذلك؟ فإن كان هذا لا يحل فالجماع أشد وأحرم.

ويقال له: هل يحل لرجل أن يتمتع من أمة بغير أمر سيدها؟ فإن قال: لا يحل له فقد جعله نكاحاً وأوجب له أحكامه، وإن أحله له فكيف يحل لرجل أن يطأ جارية لا يملك رقبتها وليست له بزوجة، وفرجها له حلال، وإن قال لا يحل له أن يتمتع منها إلا بإذن سيدها، أفرأيت إن أذن له السيد هل يحل لسيدها أن يجامعها، وهذا الرجل يتمتع منها؟ فإن قال: لا يحل فقد جعله نكاحاً وأوقع عليه أحكام الزوجة من الطلاق والظهار وغيرهما، وإن قال هي حل لسيدها وهذا يتمتع منها فكيف يحل فرج لرجلين أحدهما يملك الرقبة والآخر ليس بزوج ولا مالك، ما أعظم هذا وأشده، وهل يحل للعبد أن يتمتع من مولاته أو من غيرها بغير أمرها؟ وهل يحل لرجل أن يتمتع من امرأة قد طلقها ثلاثاً؟ أرأيتم رجلاً طلق امرأته ثلاثاً للسنة وانقضت عدتها منه فتزوجها رجل متعة أياماً معلومة ودخل بها ثم بانت منه في قولهم عند انقضاء الوقت بلا طلاق فهل أحلها هذا النكاح لزوجها الأول؟ فإن قالوا: قد أحلها له، قيل لهم: فقد أقررتم أنها زوجة من قبل أنها لا تحل للأول حتى تنكح زوجاً بعده، لقول الله تعالى، والزوجة لا تبين من زوجها إلا بطلاق، أو بحكم من أحكام الله التي سمى في القرآن، وإن قلتم إن هذا النكاح لا يحل لزوجها الأول أقررتم بأنها ليست بزوجة وأن نكاحها حرام إذ خلت من أن تكون زوجة أو ملك يمين.

ويقال لهم: أخبرونا عن وجه المتعة عندكم كيف هو إذا أراد الرجل أن يقاطع المرأة يقول لها: أتزوجك أو استأجرك، فإن قالوا يقول أتزوجك فهذا نكاح صحيح وأحكام الزوجين بينهما واجبة من الميراث وغيره، وإن قالوا: يقول استأجرتك أجامعك فهل تستأجر الفروج إن كان هذا جائزاً فجائز أن يستأجر الاثنتان والثلاث والأربع في عقدة واحدة يأتيهن كلهن، فأي شيء أعظم من هذه المتعة، على هذا حرام لا تحل ولا تصلح.

ويقال لهم أيضاً هل يحل للرجل أن يتمتع من امرأة قد وطأ أمها أو بنتها بنكاح أو متعة أو ملك يمين؟ وهل على المتمتع أن يشهد في المتعة أو لاشهود عليه؟ فإن أوجبوا عليه الشهود فقد أقروا بأنها نكاح، وإن لم يوجبوا عليه الشهود في المتعة فقد أقروا بأنها ليست بنكاح، وما لم يكن نكاحاً فهو زنى، والزنى حرام.

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ما عليها من العدة إذا مضى الأجل، ووقعت الفرقة بينهما إن كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض، وهل بين عدة الأمة والحرة في ذلك فرق، فإن قالوا عليها من العدة إذا انقضى أجل المتعة حيضة، قيل فإن الله تبارك وتعالى يقول في الأزواج: ﴿**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[البقرة:٢٢٨] وهي ثلاث حيض مع ثلاثة أطهارٍ إن كانت ممن تحيض، أو ثلاثة أشهرٍ إن كانت آيسة أو صغيرة لم

تبلغ، بذلك نطق الكتاب عن الله عز وجل، فإن تكن المتزوجة متعة زوجة فأحكامها أحكام الزوجة في العدة وغيرها، وإن لم تكن زوجة فنكاحها حرام.

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة أياماً معلومة هل يجوز أن يعطيها جعلاً على أن تزيد في الأجل بعد ذلك، فهل يتم ذلك إن فعل؟ وما حال الولد بينهما أيثبت نسبه أم لا؟ وكيف الحكم عندكم فيه إن نفاه الزوج في الأجل أو بعد مضيه أيلاعن المرأة في نفيه للولد أو لا يلاعنها؟ وإلى أي وقت يثبت الولد منه؟ وهل يحل للرجل أن يتمتع بالجارية الصغيرة التي لم تبلغ مبلغاً يجامع مثلها بغير إذن وليها؟ وقد ذكر في تأويل الآية ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ**﴾[الأحزاب:٥٠] قال الولي.

وقال أبو جعفر محمد بن علي -عليه السلام-: الولي في كتاب الله قوله: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ**﴾[البقرة:٢٢١] وقوله يخاطب الأولياء: ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ**﴾[البقرة:٢٣٢] وقوله: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ**﴾[النور:٣٢] ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأتين متعة في عقدة واحدة بدراهم مسماة لهما جميعاً كيف تقسم الدراهم بينهما لكل واحدة منهما بحساب مهر مثلها إذا جمع مهراهما، أو لكل واحدة بحساب أجر مثلها إذا اجتمع أجراها؟ فإن قالوا لكل واحدة منهما بحساب مهر مثلها

فقد أقروا لها بحكم الزوجة وما يجب لها، وإن قالوا لكل واحدة منهما بحساب أجر مثلها فقد أقروا أنه إنما استأجر كل واحدة منهما، وإجارة الفروج حرام غير جائز عند جميع الأمة، فأي الأمرين أجابوا فقد تركوا قولهم.

[الطلاق]:

قد تقدم في كتاب (الطلاق)[1] قول أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، والحسن بن يحيى-عليهم السلام- ومحمد في إيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة، وفي إيقاع الطلاق في المحيض، وقول الحسن -عليه السلام- أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن من طلق امرأته ثلاثاً في كلمة فقد حرمت عليه، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، سواء كان دخل بها أو لم يدخل بها، وقوله وأجمعوا على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يطلق إلا للسنة، وأنه إن طلق لغير السنة أثم ولزمه الطلاق.

وقال الحسن ومحمد: روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي، وجعفر بن محمد، وعبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله-عليهم السلام- وخيار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن طلق امرأته

---

(١) من الجامع الكافي.

ثلاثاً في كلمة أنه قد أخطأ السنة وعصى ربه، وطلقت منه امرأته فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

وروى محمد بإسناده عن ابن عباس، وابن مسعود، وأنس، وإبراهيم، والشعبي نحو ذلك.

وعن علي بن موس الرضى، ومحمد بن علي بن جعفر، ويحيى بن الحسين بن زيد -عليهم السلام- نحو ذلك.

وروى بإسناده عن عبادة بن الصامت أن رجلاً طلق امرأته ألفاً فسأل بنوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((**إن أباكم لم يتق الله فيجعل له من أمره مخرجاً، بانت منه بثلاثٍ على غير السنة، وتسعمائة وسبع وتسعون إثم في عنقه**))[1].

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي -عليهم السلام- قال: جاء رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالا: إن أبانا طلق امرأته مائة

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١٧.

تطليقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**إن أباكما عصى ربه فلم يجعل الله له مخرجاً، بانت منه بثلاث وسبع وتسعون معصية**))[١].

وعن زاذان، عن علي -صلى الله عليه - قال: سمع النبي صلوات الله عليه وآله رجلاً طلق امرأته البتة فغضب وقال: ((**أتتخذون آيات الله هزواً ولعباً، من طلق البتة ألزمناه ثلاثاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره**))[٢].

وعن فاطمة بنت قيس قالت: «طلقني زوجي ثلاثاً فلم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكنى ولا نفقة»[٣].

وعن ابن عمر أنه طلق امرأة وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((**مره فليراجعها حتى تطهر، وتحتسب بالتطليقة، ولا تحتسب بالحيضة، فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها**))[٤].

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١٧.

(٢) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص١١٨.

(٣) صحيح مسلم ج٢ص١١٢٠.

(٤) أمالي أحمد بن عيسى ج٣ص٨٧.

وقال محمد في (كتاب إيقاع الطلاق في المحيض وإيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة): اختلف أهل القبلة فيمن طلق امرأته ثلاثاً في كلمة، فقال أصحاب الإمامة ومن قال بقولهم: لا تقع الثلاث بطلاقه، والنكاح بينهما ثابت على ما كان عليه قبل الطلاق، واحتجوا في ذلك بما تأولوا من كتاب الله في مذهبهم، ونحن واصفون لحجتهم، مثبتون لما يلزمهم إن شاء الله.

وقال فريق من المعتزلة: إذا طلقها ثلاثاً في كلمة لزمها تطليقة واحدة ولم يقع بها الثلاث(١).

وقال الباقون منهم القول الأول، ولم يوقعوا طلاقاً، وقال الأكثر من أهل العلم والروايات، وأهل النظر إذا طلق امرأته ثلاثاً في كلمة فقد خالف السنة وعصى ربه وبانت منه امرأته، واحتجوا في ذلك بالكتاب المنزل والسنة العادلة، والرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أهل بيته والعلماء من أصحابه والتابعين بعدهم، ونحن موضحون لذلك مبينون له، وبالله التوفيق.

---

(١) في الأحكام أنه قول أمير المؤمنين والباقر وزيد بن علي وجعفر والقاسم والهادي أيضاً وقال: «والحجة عندي لمن رد الثلاث إلى واحدة فحجة قوية نيرة قاصدة ...إلخ».

قال محمد: يقال لهم أخبرونا عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾[الطلاق:١] أليس في أمر الله بالطلاق للعدة عند إرادة الطلاق نهي عن الطلاق لغير العدة، هل طلقت؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فما تقولون فيمن طلق امرأته لغير العدة كما طلقها؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم وصاروا إلى ما قلنا، وإن قالوا: لم تطلق منه لغير العدة قيل لهم: فإذا لم يقع بينهما طلاق لغير العدة فهي بمنزلة من لم يطلق لا فرق بينهما في المعنى، وينبغي أن يكون غير آثم في مذهبكم هذا؛ لأنه لم يقع بينه وبين امرأته طلاق لغير العدة، والأمة مجمعة أنه آثم عاصٍ مخالف للسنة، فإن قالوا: هو مطلق بلفظه بالطلاق على غير ما أمر الله به لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾[النساء:٢٢] فقد سماه الله نكاحاً، وإن لم ينعقد به بين الرجل وامرأة أبيه نكاح، فكذلك الطلاق عندنا يجب به الإسم وإن لم يقع به بين الرجل وامرأته طلاق، قيل لهم: النكاح والطلاق مفترقان، والفرق بينهما أن الاسم يقع على معنيين على العقدة التي قد يجب بها الملك ولا يجب، وعلى الجماع، وكلاهما غير الملك، وإذا تزوج الرجل امرأة أبيه فقد وجب اسم النكاح بوجوب العقدة التي بينهما، وإن لم يجب بها الملك؛ لأن اسم النكاح لها لا للملك، ولو كان اسم النكاح إنما يجب للملك لا للعقدة لوجب لكل ملك تحل به المجامعة أن يسمى نكاحاً، وقد يملك الرجل الأمة بالميراث والهبة وغيرهما ملكاً يحل

به الجماع ولا يسمى نكاحاً؛ لأن اسم النكاح إنما يجب للعقدة، والعقدة هاهنا غير موجودة.

وأما الطلاق فهو اسم للحكم الذي يجب بين الرجل وامرأته بلفظه الذي لفظ به، وليس هو اسم للفظ الرجل، ألا ترون أن الطلاق يقع بين الرجل وامرأته بالمعنى الذي وصفت لكم وإن لم يفصح باسم الطلاق، وذلك أن رجلاً لو قال لامرأته وهي في موضع السنة اعتدي ينوي به الطلاق كان طلاقاً بإجماع الأمة، ووجب اسم الطلاق، فهذا دليل بين أن اسم النكاح إنما يجب للعقدة لا للملك، واسم الطلاق إنما يجب للحكم الذي يوجهه اللفظ لا للفظ، ألا ترون أن الرجل يتزوج المرأة التي لا يحل له نكاحها فيقال: قد تزوج فلان فلانة، وإن فرق الحاكم بينهما وأبطل نكاحهما، وإن طلق امرأة أجنبية ليست له في ملك لم يقل طلق فلان فلانة ولم يقع اسم الطلاق بينهما، وفرق آخر في النكاح والطلاق وهو أن عقدة النكاح الحرام لو وجب بها الملك بين الرجل والمرأة لكانت العقدة حلالاً، والمفروض أنها حرام، وإنما افترق النكاح الحلال والنكاح الحرام؛ لأن الملك يجب بالنكاح الحلال ولا يجب بالنكاح الحرم.

وأما الطلاق لغير العدة فلا يجب وقوعه بين الرجل وامرأته أن يكون للعدة من قبل أن الطلاق للعدة وغير العدة إنما افترقا بغيرهما، وهو الوقت الذي يكون فيه الطلاق، والحكم الذي يجب وقوع الثلاث في كلمة

واحدة، فإذا طلق لغير العدة فقد وقع الطلاق المنهي عنه، ولم يجب بوقوعه وجود ما أباح الله من طلاق العدة، وكذلك النكاح الحرام، فقد وقع النكاح المنهي عنه، ولم يجب بوقوعه وجود ما أباح الله من الملك، ويقال لهم: اخبرونا عن اسم الطلاق لا يخلو من أن يكون إنما وجب لأحد معنيين، إما للفظ الذي لفظ به الرجل من الطلاق وإما للحكم الذي وجب باللفظ بين الرجل وامرأته، فإن قالوا: لا يخلو من ذلك، قيل لهم: فأي المعنيين تقولون؟ فإن قالوا هو اسم للحكم الذي وجب باللفظ لم يجدوا بداً من أن يقولوا في من طلق لغير العدة قد وقع الطلاق بينه وبين امرأته؛ لأنه مطلق بوجود الطلاق وهو آثم عاصٍ، أو يقولوا لا يقع الطلاق بينهما ولا يجب الحكم فينفوا عنه الإثم؛ لأنه لم يطلق لما لم يقع المعنى الذي يلزمه اسم الطلاق، فإن قالوا اسم الطلاق إنما يجب للفظ الذي تلفظ به الرجل لا للحكم الواجب، قيل لهم: فإذا لفظ الرجل بالطلاق فقد طلقت امرأته ووقع الطلاق بينهما بوجود اللفظ الذي يلزمه الإسم؛ لأنه محال أن يكون المعنى الذي يلزمه اسم الطلاق موجوداً، ولا يكون الطلاق واقعاً بينهما ولا حكمه لازماً لهما، ويقال لهم أخبرونا عن رجل قال لامرأته أنت طالق ثلاثاً في كلمة هل وقع بينه وبينها مخالفة لأمر الله في الأحكام الذي بينهما؟ وهما في جميع أحكامهما على الحال الذي كانا عليها قبل هذا القول، فإن قالوا قد وقع بينهما مخالفة لأمر الله في الأحكام التي بينهما، تركوا قولهم وصاروا إلى ما قلنا من زوال الملك، وانتقال الحكم ووقوع الطلاق، وإن قالوا هما على ما

كانا عليه قبل هذا القول وجميع أحكامهما قيل لهم: فإذا كان الحكم في الحالين بينهما واحد فبما أثم وعصى ربه، فإن قالوا: باللفظ الذي لفظ به، قيل لهم: وكيف يأثم بلفظ لم يقع به معنى مخالفة لأمر الله تعالى في حكمه؟ إنما هذا في معناكم بمنزلة من طلق أجنبية لا ملك له عليها، فهل تقولون في هذا إنه آثم عاصٍ، فإن قالوا لا نقول ذلك لأنه لم يقع بينه وبينها مخالفة لأمر الله في المعنى، قيل لهم: فما الفرق بين هذا وبين الذي طلق امرأته ثلاثاً في كلمة، وكلاهما لم يجب بقوله مخالفة لأمر الله في المعنى، ما ينبغي أن يكون بينهما في مذهبكم فرق، ويقال لهم أرأيتم قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾[الجمعة:١٠] ما تقولون فيمن باع في ذلك الوقت هل يجوز بيعه وهو آثم أو لا يجوز بيعه؟ فإن قالوا بيعه جائز وقد أثم، قيل لهم: فكذلك الطلاق لغير العدة واقع وقد أثم، فإن قالوا لا يجوز بيعه في ذلك الوقت تركوا قول أهل العلم المعروف بينهم، وإن قيل لهم أرأيتم رجلاً اشترى جارية في تلك الساعة فأعتقها أو دبرها أو كاتبها هل يجوز شيء من ذلك، أرأيتم إن اشترى أباه أو ابنه أو ذا رحم محرم منه هل يعتق أو يكون رقيقاً على حاله، أرأيتم إن اشترى جارية تبوأها بيتاً ووطئها هل يقوم عليه الحد ويبطل ذلك كله، وهذا القول خلاف قول أهل القبلة بأجمعهم ألا ترون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن صوم يوم الفطر، ويوم النحر، وأيام التشريق، فمن صامهن كان صائماً وقد أساء وخالف السنة، وإنما نهى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صوم، كما نهى عن الطلاق لغير العدة لأنه طلاق، ولو لم يكن طلاقاً لازماً لم ينه عنه.

ويقال لهم أرأيتم قول الله عز وجل: ﴿**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا**﴾[البقرة:٢٨٢] ما تقولون في رجل باع بيعاً مؤجلاً ليس بحاضر وترك أن يكتبه هل يجوز بيعه أو لا يجوز؟ فإن قالوا لا يجوز بيعه خرجوا من قول الأمة ولم يكن لقولهم معنى، وإن قالوا بيعهم جائز، قيل لهم: فبم أجزتموه وقد ترك الكتاب الذي أمره الله به؟ وإنما أخبر الله سبحانه أنه لا جناح عليهم في ترك الكتاب إذا كانت التجارة حاضرة بينهم، ويقال لهم فكذلك فقولوا في الطلاق لغير العدة وهو واقع لازم، وإن كان المطلق مخالفاً لأمر الله في الوقت، إذ جمع الثلاث في كلمة وهذا واجب عليهم فيما وصفنا، ويقال لهم ألا ترون إلى قول الله وأشهدوا إذا تبايعتم فمن باع ولم يشهد أما يجوز بيعه جائز في قول الأمة جميعاً وقد أساء في ترك الإشهاد، فكذلك الطلاق لغير العدة هو واقع لازم وقد أساء المطلق في ترك السنة، وما بين الله سبحانه له من ذلك، ويقال لهم قول الله: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[الطلاق:١] أخبرونا إذا كان الطلاق على غير ما أمر الله به غير مانع من جماع أو رجعة فما معنى قوله عندما أمر به ﴿**لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[الطلاق:١] وهو أن يتبعها نفسه أو تحدث له فيها رغبة فيمكنه الرجعة، فإذا كان الطلاق الذي نهى الله عنه

غير مانع من أحكام الطلاق الذي أمر به في الرجعة أو ثبات النكاح فلا معنى لقوله في آخر الآية: ﴿**لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[الطلاق:١].

ويقال لهم: المطلق لغير العدة في قولكم أحسن حالاً في الأحكام التي بينه وبين امرأته من الذي يطلق للعدة، فإن قالوا وكيف ذلك؟ قيل لهم من قبل أنكم تقولون إذا طلقها للعدة كما أمر الله فحاضت ثلاث حيض منذ طلقها إن كانت ممن تحيض أو مكثت ثلاثة أشهر إن كانت صغيرة أو آيسة فقد بانت منه وحلت للأزواج، وإن طلقها لغير العدة لم يقع الطلاق في قولكم ولم يبنها منه ما أتى عليها من شهور أو حيضٍ، فأوجدونا على مذهبكم معنى قوله: ﴿**لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[الطلاق:١] عندما أمر به ونهى عنه، ويقال لهم أرأيتم رجلاً قال لامرأته أنت طالق ثلاثاً في كلمة أليس إنما أبطل الطلاق عندكم لخلافه أمر الله في ذلك، فإن قالوا نعم، قيل لهم: فقد قال الله عزو وجل: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[الممتحنة:١٠] وقال: ﴿**وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا**﴾[البقرة:٢٢١] فما تقولون في رجل ارتد عن الإسلام وامرأته مسلمة أينتقض النكاح بينهما أم هما على نكاحهما، فإن قالوا النكاح ينتقض رجعوا عن قولهم؛ لأنه قد نهى عن الكفر، وبالكفر المنهي عنه انقطعت العصمة، وزال الملك وبطلت العقدة، وإن قالوا لم ينتقض النكاح زعموا أن

مسلمة في عصمة مرتد وهذا خلاف أهل الصلاة، قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾[الممتحنة:١٠] وقال: ﴿**فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا**﴾[الممتحنة:١١] بدلاً من البضع لعلة الموادعة التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقال لهم أخبرونا عن قول الله سبحانه: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**﴾[البقرة:٢٣١] أليس إنما نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم يدعها، حتى إذا طعنت في الحيضة الثالثة راجعها فإذا طهرت طلقها ليحبسها بذلك عن الأزواج، فإن قالوا: نعم، قيل لهم: أو ليس قد جعل الله الضرار رجعة وقد نهى وذم من فعلها؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: فكذلك الطلاق لغير العدة تقع به بين الرجل وامرأته الفرقة، ويجب حكمه، وإن كان الله قد نهى عنه وذم عليه من فعله، فإن قال قائل منهم إنما معنى قوله: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**﴾[البقرة:٢٣١] في الرجل تكون عنده المرأة ليس له فيها رغبة ولا به إليها حاجة، فنهاه الله أن يمسكها على هذه الحال؛ لأنه يضر به في إمساكه إياها على ما وصفنا، قيل له هذه الآية على خلاف ما وصفت، وذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا**﴾[البقرة:٢٣١] فذكر الإمساك والتسريح حد الطلاق، والإمساك بعد الطلاق إنما هو الرجعة لا

غير، ويقال لهم قال الله عز وجل في الظهار: ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا**﴾[المجادلة:٢] فأخبر الله أن القول المنكر والزور يجب به التحريم، وتنقطع به العصمة.

ويقال لهم أخبرونا عن الرجل إذا قذف امرأته لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً فلو بان لنا صدقه رجمنا امرأته، ولو بان لنا كذبه جلدناه فلما غاب عنا المعنى حكم الله فيه باللعان وأوجب الفرقة، وإن كان صادقاً فبجحدها الحق وشهادتها بالباطل وجبت الفرقة، وفي هذا دليل أن الفعل الحرام المنهي عنه حكم الله فيه نصاً أن الفرقة تجب به، والدليل في هذا المعنى أكثر من أن يحصى.

ويقال لهم: ما تقولون في رجل طلق امرأته وهي حائض هل يقع الطلاق بها؟ فإن قالوا: لا، كيف يقع الطلاق عليها وهي حائض، وهو عاص؟ قيل لهم: أرأيتم رجلاً قذف امرأته فلاعن القاضي بينهما وهي حائض أيفرق بينهما وهي على هذا الحال، ويفسخ نكاحهما أو يدعها معه إلا أن تطهر، وهل يستقيم له ذلك، أرأيتم رجلاً لم يصل إلى امرأته فأجله القاضي فانقضى الحول وهي حائض فاختارت الفرقة هل يمضي لها القاضي ما اختارت من الفرقة وينفسخ النكاح؟ فإن قالوا نعم تركوا قولهم، وإن

قالوا لا يمضي ذلك، قيل لهم: فلا معنى للأجل الذي أجلها؛ لأن مضيه لم يوجب لها في هذه الحال غير ما كان لها.

ويقال لهم أرأيتم مجوسياً أو مرتداً أسلمت امرأته وهي حائض، وعرض القاضي على الزوج الإسلام فأبى أن يسلم هل يفرق القاضي بينهما وهي حائض، أو يدعها على حالها فتكون مسلمة في عصمة مرتد، وذلك حرام من الله ورسوله، أرأيتم إن كان الزوج الذي أسلم وأبت المرأة أن تسلم وهي حائض أيفرق بينهما أو يدعهما؟ أرأيتم أمة أُعتقت وزوجها عبد فخيرها الإمام فاختارت نفسها وهي حائض، هل يفرق الإمام بينهما على هذا الحال أو يدعها معه حتى تطهر؟ أرأيتم نصرانياً طلق امرأته وهي حائض هل يقع الطلاق عليها أو لا يقع؟ وحكمها عندكم حكم المسلمة؟ أرأيتم رجلاً قال لامرأته إن دخلت الدار فأنت طالق فدخلت وهي حائض، وقد كان حلف باليمين وهي طاهر أتطلق أم لا؟ فإن قالوا تطلق تركوا قولهم، وإن قالوا لا تطلق فقد بطلت اليمين؛ لأنها إن لم تطلق بالدخول الذي يلي اليمين لم تطلق لما بعده، ويقال لهم أرأيتم رجلاً قال لامرأته وهي حائض إذا طهرت من حيضتك فأنت طالق تطليقة للسنة، فطهرت من حيضها هل يقع الطلاق بها؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: وكيف يقع الطلاق بها، وإنما وقع الطلاق وابتداؤه في حالٍ لا يقع طلاقه عليها ولا ينعقد، إنما ينبغي أن يكون هذا في قولكم بمنزلة رجل طلق امرأة لا يملكها

إلى وقت فلا يقع عليها الطلاق إذا ملكها في مذهبكم، وإن قالوا في مسألتنا هذه لا يقع الطلاق إذا طهرت قيل لهم وبم أبطلتم الطلاق، وإنما أوقعه عليها في الحال التي أمره الله بها، وإن كان إنما تكلم به في حال غيرها، ألا ترون أنه لم يوقع بكلامه في الحال الأولى على امرأته طلاقاً يلزمها في تلك الحال، إنما تكلم بطلاق يقع ويجب في الحال التي أمر الله بها.

[في جهاد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة]:

قال الحسن -عليه السلام-: إن الله سبحانه فرض على العباد طاعته وطاعة رسوله وأمر باتباع سنة رسول الله فقال: ﴿**أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[النساء:٥٩] قال: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ**﴾[آل عمران:٣١] وعلم نبيه الفرائض والسنن وأكمل له الدين، ولم يدع لأحد في دين الله رأياً ولا اختياراً، ولم يطلق لأهل الإسلام أن يستخرجوا دين الله من تلقاء أنفسهم فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾[الأحزاب:٣٦] وقال: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[القصص:٦٨] ثم علم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كيف يقاتل وأخبره بالعدة التي يجوز بها القتال، فقال: ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[الأنفال:٦٥] ثم علم ضعفهم عن ذلك فقال: ﴿**فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ**

مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:٦٦] ثم قال: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[البقرة:٢٤٩] فلم يضيق على من حضرته النية في الدين الدفع عن دينه ونفسه وماله وحريمه أن يقاتل في فئة لا حد لها، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من أكبر الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، فإن قتل المتكلم بها كان شهيداً، وكمال الطاعة في جهاد العدو أن يقاتلوا في الفئة والعدة، وقال الله عزَّ وجل: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[الأنفال:٦٠] وأمره بإتخاذ العدة والكراع.

وقال سلمان الفارسي: «لو أعلم أني أعز ديناً وأدفع ضيماً لوضعت سيفي على عاتقي ثم ضربت به قُدماً قُدماً».

[النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم](١):

وأقام نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في دار المشركين ثلاث عشرة سنة يدعوا الناس إلى الإسلام، ثم صار إلى دار يؤيه ويمنعه، وقد أخذ

---

(١) ولد صلى الله عليه وآله في ربيع الأول من عام الفيل الموافق شهر إبريل سنة ٥٧١م، وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين من شهر بيع الأول سنة ٦٣ من عام الفيل ١١ من الهجرة.

عليهم البيعة وفي المدينة يومئذٍ اثني عشر ألفاًمن الأوس والخزرج، ومن تبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين وقبائل العرب، فخرج إلى بدر وهو يريد عيراً لقريش جاءت من الشام، ولم يكن معه جميع من تابعه بالمدينة، وإنما كان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار وغيرهم وجاءت قريش في ألف فارس وراجل، فالتقى هو وعدوه على غير موعد كان بينهم، فأيده الله بالملائكة المسومين ونصره على عدوه، ثم لم يزل يقاتل عدوه في حروبه، بالعدة والرجل، والسلاح والكراع.

[أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام](١):

ثم كان من بعده علي بن أبي طالب وهو أشجع الناس، وأعلمهم وأولاهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمقامه، وأولاهم بالناس، فلما اجتمع القوم على أن يولوا الأمر غيره لزم بيته وأغضى وانقاد مع الناس فمكث نحواً من أربع وعشرين سنة رغبة حتى قتل عثمان، فأجمع جميع من بالمدينة أن يبايعوه فأبى ذلك غضباً منه عليهم، فلما آلو عليه تقلد أمرهم، ثم خالفه من خالف منهم بعد البيعة ونكثوا عقده ونبذوا عهده، فسار إليهم بالفئة التي أطاعته حتى اظهره الله عليهم ثم توجه إلى معاوية -لعنه الله-

(١) ولد في اليوم السابع من أيلول ٢٩ من عام الفيل الموافق سنة ٦٠٠م، وتوفي ٢١ رمضان سنة ٤٠ من الهجرة.

فقاتله ثم خالفته الخوارج فقاتلهم فلم يزل على تلك الحال يقاتل من عصاه بمن أطاعه حتى مضى لسبيله -عليه السلام- شهيداً.

[الإمام الحسن بن علي عليه السلام][1]:

ثم قام الحسن -عليه السلام- بالأمر ومعه الفئة التي كانت مع أبيه فلما فسدت عليه طاعة الأكثر من جنده وطعنوه وانتهبوا ثقله، وهموا أن يدفعوه إلى معاوية-لعنه الله- أسيراً عرض عليه معاوية المسالمة والموادعة فأجاب إلى ذلك، وكان ذلك الحق والصواب.

[الإمام الحسين بن علي عليه السلام][2]:

ثم خرج الحسين -عليه السلام- هارباً إلى مكة كراهية أن يبايع ليزيد -لعنه الله- فأتاه حمل كتب من رؤوساء أهل الكوفة يعلمونه أنهم قد اجتمعوا على طاعته، ويعلمونه أنه يقدم على بلد ليس له فيها مخالف فبعث مسلم بن عقيل رائداً له فبايعه أربعة آلاف، فلما بلغ ذلك ابن زياد عاجله فخرج ومعه أربعة آلاف فلم يمس ومعه منهم أحد، ثم قدم الحسين بن علي

---

(١) ولد في النصف من شهر رمضان سنة ٣ من الهجرة، وتوفي سنة ٥٢ هـ.

(٢) ولد في شهر شعبان سنة ٤ من الهجرة، وتوفي في عاشوراء سنة ٦١هـ.

-عليه السلام- في نحو سبعين رجلاً فحيل بينه وبين الكوفة وأحاطوا به حتى قتلوه.

[الإمام زيد بن علي عليه السلام][1]:

ثم قام زيد بن علي -عليه السلام- فأحصى ديوانه خمسة عشر ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً، فأعجله يوسف بن عمر قبل أن يجتمع إليه أصحابه وعدته فخرج فوفى له ممن بايعه نحو أربعمائة رجل فقاتل، بالفئة التي أطاعته من عصاه حتى قتل شهيداً -صلى الله عليه-.

[الإمام يحيى بن زيد عليه السلام][2]:

ثم مضى يحيى بن زيد ومعه ثمانون رجلاً من أصحاب أبيه فقاتل فئة نحو عشرة آلاف فنصره الله وقتل رئيس القوم، ثم احتالوا له بالماء فمخروه عليه فقتلوه وقتلوا أصحابه-رحمة الله عليهم-.

---

(١) ولد سنة ٧٥ هـ، وتوفي في شهر محرم سنة ١٢٢هـ.

(٢) ولد سنة ٩٨هـ، وتوفي سنة ١٢٦هـ.

[الإمام محمد بن عبدالله عليه السلام][1]:

ثم خرج محمد بن عبد الله -عليه السلام- وقد بايعه جميع من بالمدينة من المتدينين من قريش والعرب وغيرهم، فقاتل بفئة وتبعة حتى استشهد -رحمة الله عليه-.

[الإمام إبراهيم بن عبدالله عليه السلام][2]:

ثم خرج إبراهيم بن عبد الله بالبصرة في نحو من ثلاثين ألف فقاتل حتى استشهد -رحمة الله عليه-.

[الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام][3]:

ثم خرج الحسين بن علي بفخ ومعه -عليه السلام- فئة وجماعة قد بايعته فقاتل حتى استشهد -رحمة الله عليه-.

[الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام][4]:

ثم خرح محمد بن إبراهيم -عليه السلام- بالكوفة في فئة وعدة.

---

(١) ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٤٥هـ.

(٢) ولد سنة ٩٥هـ، وتوفي سنة ١٤٥هـ.

(٣) ولد سنة ١٢٨هـ، وتوفي سنة ١٦٩هـ.

(٤) ولد سنة ١٧٣هـ، وتوفي سنة ١٩٩هـ.

[الإمام محمد بن محمد بن زيد عليه السلام][1]:

ثم أكره محمد بن [محمد بن] زيد بن علي -عليه السلام- على هذا الأمر فأيَّده الله على حداثة سنه.

[الإمام محمد بن جعفر عليه السلام][2]:

ثم خرج محمد بن جعفر بن محمد عليهم السلام بالمدينة فقاتل هارون بن المسيب حتى قتل عامة أصحابه وأسروا فاستأمن ووسعه ذلك إذ لم يكن معه فئة ينتصر بها من عدوه.

[الإمام محمد بن القاسم عليه السلام][3]:

ثم خرج محمد بن القاسم -عليه السلام- بالطالقان.

[الإمام عبدالله بن موسى عليه السلام][4]:

ثم قدم عبد الله بن موسى -عليه السلام- إلى الكوفة ومعه فئة قليلة لا ينتصر بهم من عدوه فقيل له لو خرجت لم يتخلف عليك أحد

---

(١) ولد سنة ١٨٤هـ، وتوفي سنة ٢٠٢هـ.

(٢) توفي سنة ٢٠٣هـ.

(٣) ولد سنة ١٧٦هـ، وتوفي سنة ٢٢٩هـ.

(٤) توفي سنة ٢٤٧هـ.

فظهر ومعه أبناه قدامه، ومعه نفر من أوليائه لو قاتل بهم لرجوت أن يموتوا دونه، فلما لم يستجب له فئة ينتصر بها رجع إلى المنزل الذي كان فيه واختفى، فهؤلاء أهل بيتي ومخرج من خرج منهم وقعود من قعد، فالخارج مصيب والقاعد مصيب إذ لم تمكنه الفئة والعدة.

[خروج الإمام زيد بن علي وقعود جعفر الصادق]:

وسئل الحسن عن خروج زيد بن علي -عليه السلام- وقعود جعفر -عليه السلام- فقال: خروج زيد صلى الله عليه طاعة، وقعود جعفر -عليه السلام- طاعة، وليس للناس أن يحكموا عليهما، وقد بلغنا عن عبد الله بن الحسن -عليه السلام- أنه قال: لولا أن لا يبقى للإسلام ثاغية ولا راغية لخرجنا جميع آل محمد -صلى الله عليه وآله- بأجمعنا فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، ودعونا إلى كتاب الله ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حتى يحكم الله بيننا وبين عدونا، ولكن يخرج الخارج منا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حجة على أهل زماننا، ويقعد القاعد بقية لغد.

وقال علي -صلى الله عليه-: عليكم بأهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم ولا تصرعكم البلية.

تم الكتاب ولست أحصي شكر مـن أولاني التمكـــــين والامهـــــالى

وأمـــدني بلطـــائف مـــن فضـــله وأعـــــانني ســـــبحانه وتعـــــالى

والحمد لله على ذلك.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١

التعريف بالمؤلف ٧

نص الكتاب ١١

باب التوحيد ١٢

إثبات الصانع الحكيم وما يستحق من أوصاف الكمال ١٢

وسائل معرفة الله تعالى ١٨

عجائب مخلوقات الله تعالى ١٨

تنزيه الله تعالى عن المشابهة ٢١

معاني بعض الآيات من المتشابه ٢٢

تنزيه الله تعالى عن الرؤية ٢٨

خطر التشبيه ٣٢

من رموز التشبيه ٣٢

باب العدل ٣٣

أفعال العباد ٣٣

الاستطاعة ٤٤

المشيئة ٤٩

الجبر ٥٠

القضاء والقدر ٥٧
الآجال ٧٨
الأرزاق ٧٩
الآلام ٨١
تعذيب الأطفال ٨٢
القرآن الكريم ٨٤
نفي البداء ٩٩
النبوة ١٠١
باب الوعد والوعيد ١٠٤
القول في الإيمان ١٠٤
حقيقة المؤمن ١٠٩
حقيقة الإسلام ١١٢
الإسلام والإيمان ١١٣
القول في أهل الكبائر ١١٦
نفي الإرجاء ١١٨
الشفاعة ١١٩
نفي الخروج من النار ١٢٢
عذاب القبر ١٢٤
الصراط والميزان ١٢٦

القول في الرجعة ١٢٧
خلق الجنة والنار..... ١٢٨
الترحم على مستور الحال ١٣١
باب الإمامة..... ١٣٢
ولاية الإمام علي عليه السلام ١٣٢
إمامة الحسن والحسين عليهما السلام ١٦٣
إمامة من بعد الحسنين..... ١٦٦
الرافضة ١٦٨
دعوى الإجماع المركب على الإمامة ١٧١
مناظرة في الإمامة..... ١٧٤
باب الأدلة ١٧٦
الكتاب والسنة ١٧٦
طرق تأويل الكتاب..... ١٧٧
الرد على من زعم الاكتفاء بالقرآن..... ١٧٨
إجماع العترة والاختلاف من جهة النظر ١٧٨
مما أجمعت عليه العترة..... ١٧٩
إجماع الأمة ١٨٢
متابعة العلماء ١٨٣
الإجماع الملزم ١٨٤

مما أجمعت عليه الأمة..... ١٨٤
القياس..... ١٨٥
عند الاختلاف في الرواية ١٨٧
تقديم رواية الآل على غيرهم..... ١٨٨
الفرقة والاختلاف ١٩١
تعامل فضلاء السلف فيما بينهم في الاختلاف..... ١٩١
ما يلزم الأئمة في الدعوة..... ١٩٣
الاكتفاء بجمل الإسلام ١٩٤
سماع العلم من أهل الخلاف ١٩٥
الامتناع عن الإجابة لمن يعلم ١٩٧
وجوب التعلم..... ١٩٨
مزاعم الغُلاة والرد عليها..... ١٩٨
إحسان الظن ٢٠٠
الفرقة الناجية ٢٠١
أسباب الاختلاف..... ٢٠٢
التأويل المبني على الهوى وأثره ٢٠٣
مسائل فقهية متفرقة ٢٠٥
ما يحل من النساء ٢٠٥
تحريم المتعة ٢٠٥

الطلاق.....٢٢٣
جهاد النبي صلى الله عليه وآله والأئمة.....٢٣٦
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٣٧
علي بن أبي طالب ٢٣٨
الحسن بن علي ٢٣٩
الحسين بن علي ٢٣٩
زيد بن علي ٢٤٠
يحيى بن زيد ٢٤٠
محمد بن عبدالله.....٢٤١
إبراهيم بن عبدالله ٢٤١
الحسين الفخي.....٢٤١
محمد بن إبراهيم طباطبا.....٢٤١
محمد بن محمد بن زيد ٢٤٢
محمد بن جعفر الصادق.....٢٤٢
محمد بن القاسم الطالقاني.....٢٤٢
عبدالله بن موسى ٢٤٢
خروج زيد وقعود جعفر.....٢٤٣
فهرس الموضوعات.....**٢٤٥**